الموسيقى العربية

تاريخها وأدبها

تأليف

صالح المهدي

رئيس المجمع العربي للموسيقى
التابع لجامعة الدول العربية
وعضو المكتب التنفيذي للمجلس الدولي للموسيقى
وللمنظمة العالمية للتربية الموسيقية التابعين
لمنظمة اليونيسكو

الدار التونسية للنشر

© حقوق الطبع محفوظة
للـدار التـونسية للنشر
1979/1399
ـ تـونس ـ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كان المؤتمر الاول للموسيقى العربية الذى انعقد بالقاهرة سنة 1932 منطلقا لبعث روح جديدة فى الشعب العربى وخاصة فى الشباب المثقف الذى اطلع على مدى اهتمام الحكومات الاوروبية بالموسيقى وبالقائمين عليها ونتج عن ذلك تاسيس جمعية الموسيقى الاندلسية بالمغرب والجمعية الموصلية بالجزائر والرشيدية بتونس ومعهد الفنون الجميلة ببغداد والمعاهد الموسيقية بكل من دمشق وبيروت وحلب علاوة عن معهد الموسيقى الشرقية المؤسس قبل المؤتمر المذكور بمصر .

وبعد ان تخلصت الاقطار العربية تباعا من ربقة الاستعمار قامت اغلب الحكومات بحركات مباركة فى العناية بالموسيقى بوجه عام والموسيقى العربية بوجه خاص آلت الى اتفاقها جميعا على تاسيس المجمع العربى للموسيقى فى نطاق جامعة الدول العربية وهكذا عم تاسيس المعاهد الموسيقية فى اغلب البلاد العربية وتوسعت حركة التربية الموسيقية وتزايد عدد الفنانين المثقفين وانشئت الفرق الموسيقية الرسمية فى نطاق الاذاعات وغيرها وكذلك الفرق الخاصة من هاوية ومحترفة وبعثت حركة مباركة فى الانتاج والبحث .

واصبح الفنان العربى فى حاجة ملحة للتاكد من اصالته الفنية عبر التاريخ القديم الذى كانت فيه الثقافة العربية متقدمة اشواطا بعيدة عن الثقافات المعاصرة لها فى ميدان الموسيقى بالذات وكذلك عبر التاريخ القريب فى كل منطقة من الوطن العربى ليكبرالمجهود الذى قام به فنانونا للحفاظ على التراث مع انمائه فى فترة كانت فيها بلداننا ترزح تحت الاستعمار

وتتجاذبها التيارات الغربية لتمتزج فيها وتبتعد عن اصالتها التى كانت رصيدها الوحيد فى انطلاقتها للكفاح التحريرى .

ولهذا السبب رايت من الواجب الملح تاليف هذا الكتاب الذى لخصت فيه ما اتت به الكتب القديمة من اخبار ومعلومات وما تعرفت عليه من مطالعاتى واتصالاتى الشخصية بابرز الفنانين العرب من مختلف الاقطار العربية مقدما ذلك فى فصول مختصرة تتناول التاريخ والطرائف والمعلومات يمكن تناولها فى معاهد التعليم الموسيقى للفائدة التاريخية والعلمية وليشعر الطلاب الذين سيصبحون فنانى المستقبل بالوحدة الفنية الشاملة بين كل الاقطار العربية ، ويجد فيها الفنان الهاوى او المحترف فائدة فى مطالعاته يتعرف من خلالها على مدارس مختلف العصور والاقطار العربية وتكون له الرصيد الذى يحثه على توخى الاصالة فى انتاجه وعلى طرق ابواب البحث العلمى فى الموسيقى العربية.

صالح المهدى

أصول الموسيقى

لا يمكن لنا ان نضبط تاريخا معينا نرجع اليه بدء الموسيقى فى العالم ، فقد خلقت مع خلقه ، وهى من اصوات الرياح ، والامواج ، والحيوانات التى تبديها عندما تبعث فى الحياة وتشم نسيم الوجود ـ وللموسيقى ناحية اخرى هى الايقاع او الوزن الذى يشعر به الحيوان والانسان من الفترات المتساوية المضبوطة التى تتوجد بين دقات قلبه ويشعر به ايضا عند كل حركة من حركاته الطبيعية المتكررة كمشيه مثلا ، فلو نتوجه بالعناية الى سماع وقع رجلينا برهة من الزمن ونحن نمشى لوجدنا انفسنا نترنم بكلام او بلحن موزونين على هذا الوقع ، ففى الايقاع اشترك الشعر والغناء وصارا صنوين هائمين فى بحر الخيال ـ وعلى هذا الاساس ابتكر العرب قديما الحداء ، وهو الغناء الذى يعين الابل على قطع المراحل البعيدة بدون ان تشعر بتعب .

ثم تطور الانسان واخذ يبتكر الآلات الموسيقية من الحجارة واللوح والجلد للاستعانة على الايقاع ومن قصب لاداء الاصوات الممتدة بالنفخ ، ثم بمناسبة تعاطيه للحروب بالنبل تفطن الى امكانية استعمال الاوتار فى الموسيقى فادخلها مع جذبها بالاصابع اولا ثم مع الضرب عليها بقطعة من الخشب او بريش الطيور ومن ذلك آلات ـ العود والقانون والهارب ... واستعملها ايضا باحتكاكها مع بعضها ومن ذلك اتى الرباب بانواعه الى ان تطور الآن الى الكمنجة بجميع اصنافها

والموسيقى هى معيار تقدم الامم فى الحضارة، فقد كانت معجزة النبى داود عليه السلام وقال فيها نابليون بونابارت : ليس هناك ما يعادل تاثيرها على الاحساس ـ فهى ربة التهذيب والذوق والجمال ـ وقال فيها الامام الغزالى: «من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج» وتعرض لها (ارسطو) بقوله : الموسيقى اول مهذب للخلق ـ ولهذا فانه من الضرورى تعليمها للنشء.

وقد كانت موجودة عند اغلب الحضارات القديمة ، ومتاحف العالم مملوءة بما يؤيد ذلك فقد عرفت الهارب فى الموسيقى السمرية واستعملت عند جنود الاشوريين وربطها الهنود بمعتقداتهم وتقدمت عند الفرس ونهضت عند المصريين القدامى وقد امكن للعلامة الالمانى (هيكمن) ان يعيد الاصوات السمرية القديمة الى الوجود مستعينا بنسب اوتار الآلات التى وجدها منحوتة فى الحجارة ومتاحفنا التونسية حفلة بالصور على الفسيفساء خصوصا ، بما يؤكد ان الموسيقى كانت لها مكانة مرموقة فى عهدنا القديم .

واتى العرب من الجاهلية بموسيقاهم التى جمعت بين البساطة والطرافة والتاثير حتى على الحيوان .

الموسيقى العربية فى عهدنا الأول

كانت الخنساء شاعرة الرثاء تغنى مراثيها ، وتغنى الاعشى ميمون بن قيس متغزلا فى (هريره) احدى مغنيات الحيرة فى ايام النعمان ، وكان للحادى دور اساسى فى رحلات التجار اذ على نغماته تقطع الابل المفاوز غير شاعرة بثقل حمولتها .

وعندما جاء الاسلام اقر الذوق السليم والصوت الحسن ، ومن ابرز الشواهد على ذلك قوله تعالى : «ان انكر الاصوات لصوت الحمير» وما روى عن عائشة رضى الله عنها : ان ابا بكر رضى الله عنه دخل عليها فى ايام منى وعندها جاريتان تدففان وتضربان ، والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه، فانتهرهما ابوبكر فكشف النبى عن وجهه وقال : دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد .

وكذلك ما رواه الامام البخارى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه من كونه خرج ذات ليلة مع رسول الله صلى عليه وسلم ومعهما سيدنا ابو بكر رضى الله عنه فاذا رجل يصلى فى المسجد فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستمع قراءته وقال فيه «من سره ان يقرا القرآن كما انزل فليقراه على قراءة ابن ام عبد» ثم جلس الرجل يدعو فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول له سل تعطه فقال سيدنا عمر «فقلت والله لاغدون اليه فلابشرنه» قال فغدوت اليه لابشره فوجدت ابا بكر قد سبقنى فبشره فو الله ما سبقته الى خير قط الا سبقنى اليه . وابن ام عبد هو سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وقد اشتهر بجمال الصوت .

وفى مناسبة اخرى قال سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه «قال لى النبى صلى الله عليه وسلم اقرا على قلت يا رسول الله اقرا عليك وعليك نزل» ؟ قال نعم فقرات سورة النساء حتى اتيت الى هذه الآية (فكيف اذ جئنا

من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان .

واشتهر ايضا من الصحابة بجمال الصوت فى تلاوة القرآن الكريم سيدنا ابو موسى الاشعرى رضى الله عنه وقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على (رواية الامام البخارى) يا ابا موسى لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود .

كما اشتهر من الصحابة سيدنا بلال الحبشى رضى الله عنه بحسن الصوت وقد اختاره صلى الله عليه وسلم ليكون اول مؤذن فى الاسلام .

وفى ذلك العصر اهدى المقوقس حاكم مصر جاريتين للنبى صلى الله عليه وسلم فتزوج احداهما وهى (ماريه) واهدى الثانية لسيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه واسمها (سيرين) فاصبحت مغنية مشهورة . ارتكزت عليها المدرسة الموسيقية وتتلمذ عليها جهابذة الفن .

شخصيات العصر الاسلامى الأول

ابـو سعيـد ابراهيـم مـولى فـائد

كان مولى لعمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه . كان شاعرا مغنيا ثم ناسكا بعد ذلك معتبرا من اهل الفضل بالمدينة .

عمر الى ان ادرك هارون الرشيد ولقيه ابراهيم بـن المهدى واسحاق الموصلى .

طلبه ابراهيم بن المهدى للشخوص معه الى بغداد فاعتذر ودله على ابن جامع وقال له : عليك بغلام من بنى سهم قد اخذ عنى وعن نظرائى وتخرج وهو كما تحب . فاخذ ابراهيم بنصيحته .

وقد كان اهل المدينة يستشهدونه لما عرف به من الثقة . وفى احد الايام ذكره القاضى محمد بن عمران ببيت شعر له كان تغنى به فى شبابه : وهو :

لقد طفت سبعـا قلت لمـا قضيتها الا ليت هـذا لا علـى ولا يـا

ورد عليه شهادته بسببه فحلف سعيد الا يحضر مجلسه فى المستقبل فاحتج اهل المدينة على القاضى وصار كلما ذكرت شهادة له فى قضية انتقل اليه لتحريرها عنه رغم ما كان عليه من كثرة اللحم وعظمة البطن وكبر العجيزة وصغر القدمين ودقة الساقين بما يجعل المشى يؤلمه ويشق عليه .

وسبق لابى سعيد ان احضر بين يدى المهدى فطلب منه ان يغنى الصوت السابق الذكر فامتنع معتذرا بان الرسول صلى الله عليه وسلم حضر فى المنام ولامه على هذا الصوت فوعده بان لا يغنيـه مستقبـلا فاكرمه الخليفة

المهدى وكساه وقال له ابو سعيد يمكن ان تسمع الصوت من جارية معروفة لدى البرامكة .

وحضر بين يدى هارون الرشيد بمنسبة حجته فطلب منه ان يغنيه قصيدا فيه تذكير بواقعة سياسية فغنى منه بيتا واحدا ولم يذكر فيه لا شخصا ولا واقعة ولما الح عليه الرشيد اعتذر بان القوم كانوا مواليه وانعموا عليه ولا يمكنه الاساءة اليهم .

البـــردان

البردان من اهل المدينة اخذ الغناء عن جميلة وعزة الميلاء ثم عن معبد ، كان ممن تقبل شهادته وكان متولى السوق بالمدينة (امين) يفصل ما يحدث به من خصومات .

وكان قدم اليه رجل خصما يدعى عليه حقا فوجب الحكم عليه وامر به الى الحبس ـ فقال له الرجل : انت بغير هذا اعلم منك بهذا ـ فقال : لعلك تعنى الغناء ـ انى والله به لعارف ، ولو سمعت شيئا جاء البارحة لازددت علما بانى عارف ـ ومهما جهلت فانى بوجوب الحق عليك عالم ـ اذهبوا به الى الحبس حتى يخرج الى غريمه من حقه .

ولقيه (سياط) بالمدينة وهو متقدم فى السن فطلب منه ان يغنيه صوتا ليصححه عنه فضحك وقال : انك لست تريد ان تصحح غناءك ، انما تريد ان تقول : سمعتنى وانا شيخ ولبى الرغبة وادى الصوت ثلاث مرات ، ويقول سياط ما رايت احسن من غنائه على كبر سنه ونقصان صوته ـ وصار البردان كلما يرى سياطا يطلب منه ان يغنيه ويجازيه بصوت من اغانى القدماء.

وكان البردان خفيف الروح طيب الحديث مليح النادرة متمكنا فى الغناء مشهودا له فى احكامه .

جميلة

هى جميلة المشهورة مولاة الانصار كانت تنزل بالسنح وهو الموضع الذى كان ينزله سيدنا ابوبكر الصديق ـ تعتبر من اصول الغناء العربى ـ اخذ عنها معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة والشماسيتان خليدة وربيحة وفيها يقول عبد الرحمن بن ارطاة :

ان الدلال وحسن الغنا ... وسط بيوت بنى الخزرج
وتلكم جميلة زين النسا ... اذا هى تزدان للمخرج
اذا جئتها بذلت ودها ... بوجه منير لها ابلج

ويقول فيها معبد : اصل الغناء جميلة وفروعه نحن ، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين . وتقول جميلة : انها كانت تستمع الى سائب خاثر وتاثرت به فاندفعت تغنى واذا هى تطرب فواصلت الى ان تقدمت فى تعلمها بالممارسة.

وكانت جميلة لا تغنى الا فى بيتها فياتى اليها الاشراف للاستماع اليها والاستمتاع بغنائها .

ومن بينهم سيدنا عبد الله بن جعفر رضى الله عنه • وحضر لديها يوما ابن سريج ومعبد وكانت عندها جارية محسنة لبقة ، فبدات تطارحها فقال ابن سريج : نحن كنا احق بالابتداء فاعطته جميلة درسا حيث اجابته بقولها : كل انسان فى بيته امير وليس للداخل ان يتأمر عليه !

فاجابها ابن سريج بقوله : صدقت جعلت فداك وما ادرى ايهما احسن ادبك ام غناؤك ـ فقالت له : (كف يا عبيد) ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احثوا فى وجوه المداحين التراب ثم رضيت عنه واستمعت الى اغانيه واغانى معبد وشكرت لهما انتاجهما .

وتبرز مكانة جميلة عند اهل مكة والمدينة من خلال المشيعين والمستقبلين لها من الاشراف والادباء والفنانين بمناسبة حجتها التى امتنعت فيها عن الغناء بمكة رغم الالحاح الشديد للمكيين وفى مقدمتهم عمر بن ابى ربيعة الذى قال : اقسمت على من كان فى قلبه حب الاستماع الى غنائها الا خرج معها الى المدينة ـ فانى خارج فخرج معها جمع اكثر من جمعها بالمدينة ـ ولم تجلس للغناء حتى مضت عشرة ايام على مقدمها وكانت بدايتها بقصيد لعمر بن ابى ربيعة امام جمع غضت به الدار ـ فلم يسمع القوم احسن من غنائها فى ذلك اليوم وتاثر عمر حتى دمعت عيناه وجرى الدمع على ثيابه . وغنى بعدها ابن سريج ثم ابن مسجح ومعبد وابن محرز والغريض وابن عائشة ثم ازدوج بعدهم نافع وبديح بصوت واحد واتى بعدهما دور الهذليين الثلاثة فى صوت موحد ـ واستمر بعدهم مجموعة من المطربين والمطربات اثناء اليوم الاول فادوا ما اطرب وبعث الفرحة فى الساممين واستمرت الحفلات اياما عديدة بين الغناء الفردى والثنائى والجماعى مصحوبا بالعزف والرقص فى اللباس الجميل والشعور الطويلة الملبوسة .

حنيـن الحيـرى

هو ابو كعب بن بلوع الحيرى . كان عربيا مسيحيا من قبيلة بنى الحارث بن كعب . كان فى حداثته بائع زهور ثم تعلم العود واصبح من ابرع عازفيه مع قريحة فياضة فى التلحين طور بها الغناء المعروف (بالسناد) .

وفى زمانه منع خالد بن عبد الله القسرى الوالى من قبل عبد الملك بن مروان الموسيقى معطيا رخصة لحنين شريطة الا يسمح للفساق بحضور حفلاته فكان فى هذه المدة يسال قبل الدخول للمحل : هل فيكم سفيه او معربد ؟ ولا يدخل الا اذا تحقق من عدم وجودهما .

وعندما تولى بشر بن مروان اخو الخليفة امر العراق الغى هذا القرار وقرب حنينا واغدق عليه .

وفى سنة 100 هـ / 718 م اراد فنانو المدينة تكريم حنين فحضر اليهم واقيمت الحفلات والمآدب واعدت له راعية الفن السيدة سكينه ابنة سيدنا الحسين رضى الله عنه حفلة ممتازة حضرها الاشراف والادباء وامتلا سقف البيت بالنظارة المعجبين بما تسبب فى هدم البيت ومات حنين العجوز عن سن 107 عاما فى هذه الحادثة . وتحول الحفل الى ماتم والتكريم الى تابين .

سائـب خاثـر

هو ابو جعفر سائب بن يسار . اشتغل تاجرا بالمدينة وخاب فى تجارته بسبب ميوله للموسيقى والغناء.

وسمعه ذات يوم احد سادات قريش : سيدنا عبد الله بن جعفر رضى الله عنه فتاثر به وادخله فى خدمته .

بدأ طوره الاول يصطحب الغناء بالقضيب ثم ابدله بالعود وهو اول من استعمل هذه الآلة بالمدينة .

وعرف سائب بانه اول من استعمل الالحان الفارسية فى الشعر العربى وهو الذى فتح المجال للتلحين الفنى باستعماله لايقاع الثقيل الاول .

ونظرا لما عرف به هذا العصر من دعاية ضد الاشتغال بالغناء قدم السيد عبد الله بن جعفر (سائب خاثر) الى سيدنا معاوية بن ابى سفيان (60/41 هـ ـ 680/661 م) باعتباره من الشعراء المحسنين لشعرهم فاجازه عما قدمه من غناء

وتوفى فى عهد الخليفة الاموى اليزيد بن معاوية سنة (64/60 هـ ـ 680/683 م) بالمدينة ضحية بريئة فى حرب اخماد الثورة وبرز من تلاميذه من كانوا اركان الموسيقى العربية فيما بعد وهم : جميلة وعزة الميلاء وابن سريج ومعبد .

سعيد ابن مسجح

هو ابو عثمان سعيد بن مسجح مولى بنى مخزوم حسب احدى الروايتين سمع غناء الفرس وهم يبنون المسجد الحرام فنقله الى الشعر العربى ثم انتقل الى الشام وتمكن من غناء الروم وتكونت له مع تمكنه من الموسيقى العربية ملكة ممتازة كون بها مدرسة خاصة به اتبعه فيها ابن سريج والغريض ومعبد .

ويروى ان مولاه سمعه يغنى بشعر ابن الرقاع فيما نهايته :

لـولا الحيـاء وان راسى قـد عثا فيـه المشيب لـزرت ام القاسـم

بلحن غريب فساله عنه فاجابه بانه لستمع الى اللحن من العملة الفرس فاعتقه لمجهوده .

وقد بلغ لعلم الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان ان فتيان قريش تعلقوا بعبد اسود يدعى ابا عثمان سعيد بن مسجح وانفقوا عليه اموالهم فامر عامله دحمان الاشقر بمصادرة امواله ونفيه .

فانتقل ابن مسجح الى الشام ودخل مسجدها وبعد الصلاة سال عن اخص الناس بامير المؤمنين بقبل استضافته فقبله احد الشبان وعرض عليه ان يذهب معه واصحابه الى بيت القينة (برق الافق) فحضر معهم وعند الشراب غنت هذه القينة مع فتاتين . فقال فيهن :

فقلت اشمس ام مصابيح بيعة بدت لك خلف السجف ام انت حالم

فغضبت الجارية . وغنت مرة اخرى فقال لها : احسنت والله فغضب مولاها وكاد ابن مسجح يطرد ثم غنت مرة ثالثة فشتمها وانطلق يغنى ، فتاء

القوم مع صوته وتعرفوا عليه واوصله احدهم الى الخليفة فساله هل تغنى غناء الركبان ففعل . ثم هل تجيد الغناء المتقن فاداه فاعجب به وقال له من انت فاجابه : انا المظلوم المقبوض ماله . المنفى عن وطنه سعيد بن مسجح فتبسم الخليفة وقال : قد وضح عذر فتيان قريش فى ان ينفقوا عليك اموالهم وعفا عنه وارجع له ماله وواصل عطاءه وعاش فى ارغد عيش الى ان مات سنة 96 هـ و 715 م فى عصر الوليد بن عبد الملك .

طـويـس

هو ابو عبد المنعم عيسى بن عبد الله الذائب اول من ظهر فى الاسلام من الموسيقيين .

نشا فى دار السيدة اروى ام الخليفة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه بالمدينة (23/35 هـ ـ 644/656 م) تاثر بغناء العملـة الفـرس فى حداثتـه فقلدهم حتى اشتهر فى عهد سيدنا عثمان ، ومدحتـه الحـوليات لقدرتـه الموسيقية .

كان لا يصطحب فى غنائه الا بالدف الذى كان لا يفارقه مخبا فى ردائه.

وكان يضرب به المثل فى التخنث فيقال (اخنث من طويس) . ولذلك نبذه العامة ولكن الاشراف كانوا يقدرون له قيمته الفنية .

وفى خلافة سيدنا معاوية قام عامله مروان بن الحكم بحملة ضد المخنثين جعلت طويسا يفر بحياته الى السويداء فى طريق سوريا حتى مات بها شيخا يناهز الثمانين . بعدما اخرج جمعا من الفنانين من ابرزهم ابن سريج والدلال ونؤوم الضحى .

عـزة الميـلاء

لقبت بالميلاء بسبب مشيتها التى كانت محببة فى ذلك العصر مثل قول الشـاعر :

فـدفعتهـا فتـدافعت مشى القطاة الى الغدير

تعلمت عزة على مطربة عجوز تدعى (رائقة) غنـاء المطربـات القديمات سيرين زوجة سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه وخولة ، والرباب وسلمى كما تتلمذت على نشيط وسائب خاثر .

كانت عزة تقدم حفلة اسبوعية ربت بها الجمهور وقد ذكر طويس بان الحضور كانوا فى الحفلة وكأن على رؤوسهم الطير وقد كان لها عون يضرب كل مشوش بالعصا مثلما كان الشان فى مجلس افلاطون باليونان .

وحاول المتزمتون النيل من مكانتها لدى سيدنا سعيد بن العاص والى المدينة فوقف لها راعى الفنانين سيدنا عبد الله بن جعفر رضى الله عنه سدا منيعا .

ويقول فى شانها :

أ) سيدنا حسان بن ثابت . ان عزفها ذكره بما كان يسمعه عند الغساسنة فى الجاهلية .

ب) طويس : انها سيدة من غنى من النساء .

واشتهرت عزة بالعزف على آلات المعزفة والعود والمزمر (للايقاع) . ويقال ان المغنية نائلة بنت الميلاء التى عرفت فيما بعد ربما تكون ابنتها وتوفيت عزة الميلاء سنة 86 هـ 705 م على عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان بعدما تركت عددا من التلاميذ وجملة من التقاليد الفنية .

شخصيات العصر الأموي

ابن محرز

مسلم بن محرز بن المكى احد تلاميذ عزة الميلاء وابن مسجح ذهب الى فارس وتعلم الغناء بها ثم صار الى الشام وتعلم الحان الروم . ومزج بين مختلف المدارس ليكون مدرسة خاصة به .

وابن محرز هو اول من غنى الرمل . ونقله عنه للفارسية (سلمك) ايام هارون الرشيد وهو اول من غنى بزوج من الشعر واقتدى به اغلب المغنين بعده . ويقول : **ان البيت الواحد لا يتم به اللحن ومنه جاء «الد وبيت» «والبيتان»** في المغرب المعروفة بابيات النوبة في تونس .

وقال يونس في شانه : انه اجمل الناس غناء كانه خلق من كل قلب فهو يغنى لكل انسان بما يشتهى .

مرض ابن محرز بالجذام فعافه الناس فاعطى كل غنائه للجارية (رحمة) التى اعتنت به واخذه الناس منها بعده وحفظ عنها اسحاق الموصلى الشىء الكثير .

حبابة

اصل اسمها «الغالية» وغيره اليزيد بن عبد الملك بحبابة لشدة حبه لها.

وكانت حلوة جميلة الوجه حسنة الغناء طيبة الصوت متقنة الضرب بالعود . اخذت الغناء مع سلامه على عزة الميلاء وابن سريج ومعبد وجميلة التى كلفت بها زميلتها سلامة لتمكينها من اتقان الغناء .

وقد سبق لليزيد ان تعشق حبابة وافتتن بصوتها عندما كان وليا للعهد ولم يقدر على شرائها خوفا من الخليفة اخيه سليمان ولما ولى الخلافة اشترت زوجه سعدى حبابة واخفتها ثم قالت له : هل بقى عليك فى الدنيا شىء لم تنله ؟

فقال : نعم الغالية يعنى حبابة ـ فقالت : هذه هى ، وهى لك واهدتها له . فعظم قدرها وزادها اعتبارا.

ولما اجتمعت حبابة وسلامة عند اليزيد قال فى شانهما :

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قرعينا بالاياب المسافر

ما شاء بعد ذلك من أمر الدنيا فليغتنى

وتمكنت حبابة من قلب اليزيد حتى صارت تتدخل فى شؤون الدولة واثارت بذلك حسد الحاسدين الذين اثروا على اليزيد فابتعد عنها مدة اسبوع فطلبت من الاحوص ان يؤلف لها قصيدا غنته امام عشيقها وهو فى طريقه الى الصلاة :

الا لا تلمه اليوم ان يتبلدا فقد غلب المحزون ان يتجلدا

الى ان يقول :

فما العيش الا ما تلذ وتشتهى ... ؟

فقال : صدقت والله ـ وكلف من يصلى بالناس وبقى معها ودعا بالشاعر واكرمه .

وكانت حبابة تعترف بفضل سلامة وجميلها فى تعليمها للغناء حتى حين اصبحت عشيقة الخليفة المفضلة .

وتفرغ اليزيد لحبابة وطلب ان لا يشوش نعيمه بشىء ـ ولكن شاء القدر عكس ذلك حيث شرقت المسكينة باكل حبة رمان وماتت . واستبقاها الملك العاشق ثلاثة ايام وهو يشمها ويقبلها الى ان تغيرت وعاب عليه اهله ذلك فاذن بدفنها وبقى يتردد على قبرها حتى لحق بها بعد خمس عشرة ليلة ودفن الى جنبها .

سلامة

سلامة وحبابة قينتان بالمدينة المنوره حاذقتان طريفتان ضاربتان على العود وكانت حبابة احسن وجها وسلامة احسن غناء ـ وتقول الشعر ـ اخذا الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلة .

ونسبت سلامة للقس وهو رجل تقى ورع من اهل المدينة تعشقها واحبها رغم ورعه يدعى (عبد الرحمن بن ابى عمار الجشمى) ـ واشتراها يزيد بن عبد الملك بن مروان فى خلافة سليمان (96 ـ 99 هـ ـ 715 ـ 717م) واحبها حبا كبيرا ولم يتخل عنها وذلك بمجرد سماعه لها تغنى .

ومن حكايات سلامة : ان والى المدينة عثمان بن حيان المرى اعطى ثلاثة ايام اجلا لخروج المغنين والموسيقيين من المدينة لتطهيرها منهم حسب نصيحة بعض المغرضين فتداخل لديه الشيخ ابن ابى عتيق لفائدة سلامة باعتبارها تخلت عن الغناء وقدمها له فى هيئة تقية ورعة فى هنداماها وبيدها سبحة فاعجب الوالى بحديثها وتلاوتها للقرآن اى اعجاب فطلب منها ابن ابى عتيق ان تغنى ففعلت فزاد اعجابه بها وتراجع فى طرد الفنانين .

فقد مات اليزيد بحضرة سلامة وناحت عليه بما لم يسمع السامعون بشىء احسن من ذلك ولا اشجى فابكت العيون واحرقت القلوب وفتنت الاسماع .

وكانت تمتنع عن الغناء لدى الوليد وعندما يجبرها تفعل وعيناها تدمعان وماتت سنة 126 هـ 744 م .

سياط

هو عبد الله بن وهب ولد بمكة واخذ الغناء القديم عن يونس الكاتب وتخرج عليه ابن جامع وابراهيم الموصلي الذى سأله ابنه اسحاق عن نسبة لحن غناه نقال : انه لمن لو عاش ما وجد ابوك شيئا ياكله انه ـ لسياط ـ

مر سياط فى احد الايام الباردة فوجد ابن ابى ريحانة يتشمس طلبا للحرارة وطلب منه هذا الاخير ان يغنيه :

فؤادى رهـن فى هـواك ومهجتى تذوب واجفانى عليـك هموم

فغناه فشق قميصه من شدة التأثر وزاده ذلك بردا . فقال له : رجل ما اغناك عن ذلك فاجابه : ان الشعر الحسن من المغنى الحسن ذى الصوت المطرب ادفأ للمقرور من حمام محمى فقال له : انت الذى يصدق عليه قول الله عز وجل : (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

فاجابه : بل انه من الذين قال فيهم تبارك وتعالى : (الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه) .

وكان سياط حريصا على ان لا يغير تلحينه واوصى بذلك تلميذيه ابراهيم الموصلى و ابن جامع عند مرض موته .

وتقول فيه (قرشية) جارية الخليفة المهدى : انى سمعت المغنين واخذت عنهم وتفقدت اغانيهم فما رايت فيهم مثل سياط قط :

ويقول فيه الشاعر :

مـا سمعت الغـناء الاشجانى من سياط وزاد فى وسواسى

غنى يـا سياط قد ذهب اللي ل غنـاء يطيـر منـه نعاسى

ومات سياط فى اول ايام الخليفة موسى الهادى 169 هـ 785 م بعد فراقه من سهرة فنية فى بيت صديق له .

ابـن سـريـج

ولد ابويحى عبيد الله بن سريج حوالى السنة الثانية عشرة للهجـرة بمكة من اب تركى ـ وتعلم الموسيقى بالمدينة على طويس وابن مسجح وحضر حفلات عزة الميلاء التى اشتهرت بالقيمة الفنية وصار عوادا متوسطا ولم يرفع رابة الشهرة الا عندما وصل للاربعين من عمـره وتخصص بالغنـاء المعروف بالنواح وبذلك نال شرف الدخول الى النادى الفنى الـذى تنـظمه السيـدة سكينة ابنة سيدنا الحسين رضى الله عنه . حتى صار من عمد الموسيقى العربية حيث يقال :

(اصل الغناء مكيان ابن سريج وابن محرز ومدنيان معبد ومالك)

وارسلت له ذات يوم السيدة سكينة احد اتباعها (مالكا) ليعلمه النواح ففعل ولما مات عمها السيد محمد بن الحنفية كان ابن سريج مريضا فتقدم لها التلميذ واكد لها انه يمكن ان يقوم مقام استاذه فى النواح فاذنت له بذلك فنال شهرة كبيرة جعلت ابن سريج يتوقف على النواح ويغير وجهته فى الغناء ولم ينج بعد ذلك الا على صديقته المطربة (حبابة) وعلى الخليفة اليزيد بن عبد الملك .

ثم استدعى الى بلاط الوليد بن عبد الملك بن مروان واقام عنده عشر سنوات مبجلا مكرما وبعد رجوعه الى مكة وجد ان واليها الجديد نافع بن علقمة حرم الموسيقى ـ فكان لابن سريج من النفوذ ما جعل الوالى يعدل قراره

وقد قال فيه هشام بن مريه :
ما خلق الله بعد داود النبى عليه السلام احسن صوتا من ابن سريج ولا صاغ احدا احذق منه بالغناء.

وتوفى فى عهد هشام بن عبد الملك بن مروان 125 ـ 743 م .

الغـريـض

هو ابو يزيد عبد الملك لقبه انسداء بالغريض لانه غض الشباب حسن المنظر كان يتعاطى حرفة الخياطة .ارسلته السيدة سكينة الى ابن سريج فتعلم عليه ووصله الى درجة الهبت الغيرة فى استاذه فاطرده لما به من جمال وحسن صوت واتقان صنعة ومن ذلك التاريخ اتجه الى النائحتين المشهورتين بمكه (حوراء) و (بغوم) واخذ عنهما واصبح يعارض استاذه بالانتاج على كل تلاحينه فغير ابن سريج منهجه التقليدى المرتبط بالنواح واتجه الى الاغانى الخفيفة المعروفة بالاهزاج.

واحتكم ابن سريج والغريض لدى السيدة سكينة فقالت عنهما : (والله ما افرق بينكما ، وما مثلكما عندى الا كمثل اللؤلؤ والياقوت فى اعناق الجوارى الحسان لا يدرى اى ذلك احسن) .

وكان الغريض يغنى ايام الحج فيلهى الناس عن حجهم لشدة جمال صوته وغنى لهم فى احد الايام مختفيا فظن انه من الجن لتفوق صوته عن المعتاد من صوت البشر .

كان الغريض فنانا لا يريد ان يشعر بضيق ولا يغنى الا اذا اعجبه الجو ـ وعندما ولى امارة مكة (نافع بن علقمة) اكثر من طلبه للغناء فاختفى عنه ثم هرب لليمن الى ان مات فى عهد الخليفة سليمان ابن عبد الملك بن مروان 96 ـ 99 هـ 715/717 م .

محمد بـن عـائشـة

كانت امه عائشة ماشطة وكان فى صغره يحضر معها الافراح فيقال من هذا الطفل ؟

الجواب : ابن عائشة . حتى اشتهر بهذا الاسم . تعلم عن معبد ومالك وكان يعترف لهما بالجميل . وكان يفتن كل من سمعه حتى تاه فى سماعه فتيان عديدون بالمدينة وكان مغنيا بارعا لم يعرف احسن منه فى بداية الغناء مع عزف متوسط على العود .

وقال فيه اسحاق الموصلى : لو كان آخر غنائه مثل اوله لفاق ابن سريج .

وقيل فيه : انه لم يكن بالمدينة بعد طويس اعلم منه بالغناء . ولا اقدر منه على ارتجاله ولا اظرف منه مجلسا ولا احسن منه طبيا . بحيث يصلح لمنادمة خليفة او ملك .

وكان معجبا بنفسه سيء الخلق مع النـاس فادبـه سيدنا الحسن بن الحسن رضى الله عنه حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لما صادفه جالسا على قرن بئر فارسل اليه عبدين اسودين وقال له هما حران ان غنيت مائة صوت وان لم تفعل فسيسقطانك فى البئر والا قطعت ايديهما ـ فاندفع يغنى وذكر من حضر الواقعة انه لم يسمع مثل ذلك قط وان كل الحاضرين الذين كان عددهم لم يجتمع لاحد مثل ذلك قط جمدوا فى اماكنهم الى ان انتهى من غناء المائة صوت .

وغنى لدى الوليد بن يزيد وهو شاب بمحضر استاذيـه معبد ومالـك ففضله عليهما وخلع عليه ثيابه ومنحه 30.000 درهم بما اغضبهما ولما قفل

راجعا اعترضه رجل فقير وساله ما هذا الذى عندك فقال هدية الامير عن صوت غنيته له . فالح عليه اسماعه اياه فتمنع ثم قال اغنيكه فى البيت فلحق به رغم اسراعه فى السير على بغلته تفصيا منه ولما وصل اراد ان يعوضه الغناء بـ 300 دينار وعشرة من الثياب فامتنع رغم فقره فغناه . وبلغ الخبر للوليد فدعا الرجل واكرمه لشدة تعلقه بالغناء . ومات ابن عائشة فى عهد هذا الخليفة حيث سقط من سطح كان يغنى به لشدة سكره .

معبد

هو ابو عباد معبد بن وهب ولد بالمدينة المنوره من اب زنجى خلال القرن الاول للهجرة : اشتغل فى شبابه صيرفيا ثم تعلم الموسيقى على سائب خاثر ـ ونشيط الفارسى ـ وجميلة حتى احرز على الجائزة الاولى الموسيقية فى المباراة التى نظمها ابن صفوان احد اشراف المدينة والتى حضرها معبد متاخرا فمنع من الدخول فاغتنم فرصة الاستراحة بين مغنيين وانطلق يغنى من وراء الباب فيدخل مكرما مبجلا ويفوز بالجائزة التى فتحت له الابواب للالتحاق ببلاط الخلفاء الامويين ، واعتبر شيخ الموسيقيين بعد وفاة ابن سريج وقال فيه زعيم الموسيقى فى العهد العباسى (اسحاق الموصلى) : كان معبد احسن الناس غناء واجودهم صنعة ـ واحسنهم خلقا ـ وهو فحل المغنين وقال فيه احد الشعراء :

اجاد طويس والسريجى بعده وما قصبات السبق الا لمعبد

توجه ابن سريج والفريض للغناء بالمدينة المنورة فلما وصلاها وجدا بالساحة الخارجة عنها التى تغسل بها الثياب طفلا يتصيد الطير ويغنى لحنا شجيا لم يسمعا احسن منه ـ فاقتربا منه وطلبا منه الاعادة ففعل باحسن اداء واجمل صوت ـ فقالا : اذا كان الطفل اللاعب بهذا المستوى فكيف يكون المغنون ؟ ـ ورجعا لحينهما ـ وقد كان الطفل معبدا .

كون معبد مدرسة خاصة تخرج منها : ابن عائشة ، ومالك ، وسلامة القس ويونس الكاتب واضع الحجر الاساسى لادب الموسيقى بتاليفه لكتابى النغم والقيان .

وتوفى حوالى سنة 120 هـ (743 م) ووقعت له جنازة رسمية بكته فيها تلميذه سلامه وغنت شعرا من تلحينه وشارك فى تشييعها الخليفة الوليد الثانى نفسه مسجلا بذلك حدثا هاما فى تاريخ الفنون .

يونس الكاتب

هو يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار ولد بالمدينة المنورة ، وكان ابوه لقيها وضعه بالديوان فكان من كتابه . تعلم الفن عن معبد وابن سريج وابن محرز والغريض ويرجع اليه الفضل فى رواية جميع انتاج معبد الذى لم يوجد احسن من اداه منه . واشتهر بحسن الغناء وكثرة الحفظ وجيد الشعر وهو اول من ألف كتابا فى الاغانى ونسبها الى من غناها وعليه اعتمد كل من اتى بعده . ويؤكد الاصبهانى انه اول من دون الغناء.

وكان ابن عائشة يغار منه فبينما كان يونس يغنى بوادى دومة مع اصحابه اجتمع اليهم نساء من اهل الوادى وما ان رآهم محمد بن عائشة حتى دب فيه الحسد والغيرة فطلع على سطح احد قصور المنطقة وغنى فجلب كل النسوة .

وكان يونس يتعاطى الغناء هواية حيث كان يمارس التجارة وبينما هو مع جماعة من التجار فى الشام بلغ خبره ولى العهد الوليد بن يزيد فدعاه واقام عنده ثلاثة ايام بين الشرب والغناء اهداه بعدها ثلاثة آلاف دينار . ولما استخلف دعا يونس فاقام عنده حتى نتل .

واشتهر يونس بتلحين وغناء كل اشعار ابن رهيمة فى زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ومن ذلك اغنيته المشهورة التى جاء فيها :

اقصدت زينب قلبى ... وسبت عقلى ولبى
تركتنى مستهاما ... استغيث الله ربى
ليس لى ذنب اليها ... فتجازينى بذنبى
ولها عندى ذنوب ... فى تنائيها وقربى

وبذلك لفت المغنى والشاعر الانظار حول هذه الفتاة الشريفة ، فعاقبهما الخليفة هشام بن عبد الملك فاختفيا الى ان ولى الوليد بن يزيد وعندها غنى يونس :

لئن كنت اطردتنى ظالما ... لقد كشف الله ما ارهب
ولو نلت منى ما تشتهى ... لقل اذا رضيت زينب
وما شئت فاصنعه من بعدنا ... فحبى لزينب لا يذهب

ثم انقطعت اخبار يونس الذى اجتمع لديه الفن والادب وعزة النفس .

شخصيات العصر العباسي

ابراهيم بن المهدى

هو الخليفة ابراهيم بن الخليفة المهدى العباسى ولد ببغداد سنة 162 هـ (778 م) امه (شكلة) ابنة ملك طبرستان اغتنم فرصة الخلاف بين اشياع ابنى اخيه هارون الرشيد (الامين والمامون) ليستأثر بالخلافة لنفسه وقد دامت له مدة عامين (202 ـ 204 هـ 817 ـ 819 م) تحمل فيهما من الهجاء الوانا ـ من ذلك قول دعبل الشاعر :

ان كان ابراهيم مضطلعا بها (1) فلتصلحن من بعده لمخارق (2)
ولتصلحن من بعد ذلك لزلزل (3) ولتصلحن من بعده للمارق

ثم قبض عليه فاستعمل ادبه وفنه لينتزع العفو من الخليفة المامون عندما احضره هذا الاخير من السجن حيث انشد امامه :

ذنبى اليك عظيم وانت اعظم منه
فخذ بحقك ا و لا فاصفح بفضلك عنه
ان لم اكن فى فعالى من الكرام فكنه

فقال المامون : القدرة تذهب الحفيظة ، والندم توبة ، وعفو الله بينهما وهو اكبر ما يحاول يا ابراهيم ، لقد حببت الى العفو حتى خفت ان لا اوجر عليه ـ لا تثريب عليك ، يغفر الله لك .

واصبح بعد ذلك موسيقيا محترفا ، زعيما للحركة الموسيقية الرومنطقية (وقد اعانه على ذلك معرفته الواسعة بالشعر والعلوم والجدل مع براعته الفائقة فى العزف على مختلف الآلات وعلمه بالنغم والوتر والايقاع وصوته الرائع ذو القوة الهائلة الذى كان يغنى به الصوت الواحد على اربع طبقات ويروى لنا يحيى بن المنجم انه غنى على الطبقة التى كان العود عليها وعلى ضعفها وعلى اسجاحها وعلى اسجاح اسجاحها .

(1) اى الخلافة .
(2 ـ 3) موسيقيان مشهوران معاصران له .

لقد كان ابراهيم ميالا الى الابتكار ومعاكسا بذلك التيار الفنى فى عصره لان اغلب الموسيقيين والمفكرين كانوا يؤيدون مدرسة اسحاق الموصلى التى ترتكز على المحافظة على التراث وعدم الخروج عن اصوله وعندما يغلب عليه ذلك يقول : انا ملك وابن ملك ، اغنى كما اشتهى وعلى مألتذ حتى كون مدرسة للمجددين .

وقد ايد التاريخ مدرسة ابرهيم بن المهدى وتطورت ابتكاراته وظلت حية مدى ما يزيد عن الخمسة اجيال وهكذا فقد ساهم فى بناء مجد الفن العربى وبعث روح الابتكار فى شباب جيله .

ابراهيم الموصلى

هو ابراهيم بن ميمون بن نسك اصله من اشراف الفرس ولد بالكوفة وقد كان سبب نسبته الى الموصل ان اخواله منعوه من تعلم الموسيقى فهرب منهم الى الموصل وأقام بها مدة طويلة وتعلم بها الموسيقى ثم انتقل منها الى الرى وصادفه يوم مر به احد قواد ابى جعفر المنصور فى طريقه الى احد العمال وهو يغنى فاصغى اليه ثم خلع عليه «دواج سمور» وهو ثوب ممتاز من جلد حيوان ثم استمر الى مهمته وفى رجوعه اقام لديه ثلاثة ايام ووهب اليه نصف الكسوة التى كان يحصل عليها من الاير مع الفى درهم وهو أول ما اكتسبه بالغناء.

وبلغ خبره الامير محمد بن سليمان بن على فاقام عنده مدة ثم قدم للخليفة المهدى 158 ـ 169 هـ 775 ـ 785 م الذى لم يسمع قبله من المغنين الا فليح وسياط فاعجب به واقام عنده ـ وحاول المهدى نهيه عن الشراب وضربه وحبسه لذلك فلم يفلح وكان سجنه فرصة حيث تعلم فيها الكتابة والقراءة والف ولحن فيها الكثير من انتاجه . ومنه :

الا طال ليلى اراعى النجوم ... اعالج فى الساق كبلا ثقيلا
بدار الهوان وشر الديار ... اسام بها الخسف صبرا جميلا
كثير الاخلاء عند الرخاء ... فلما حبست اراهم قليلا

تزوج ابراهيم من «دوشار» ثم من «شاهك» التى انجبت له ابنه اسحاق الذى اصبح زعيم الموسيقيين فى العصر العباسى الاول .

وتحصل ابراهيم الموصلى مالا كثيرا من الخلفاء العباسيين وكذلك من بيعه للجوارى بعد ان يعلمهن ووصل رزقه من ذلك عدا الجرايات التى كانت 10.000 درهم فى السنة واستثمار ضيعاته عشرين مليون درهم .

ويقول ابنه اسحاق : انه كان مدينا بخمسة الآف دينار عند وفاته وقد كان عالما اديبا شاعرا وفنانا .

وقال فيه ابن سيابة :

ما لابراهيم فى العلم بهذا الشان ثانى
انمـا عمـر ابى اسحـاق زين للزمان
جنة الدنيا ابـو اسحاق فـى كل مكان
منه يجنى ثمر اللهو وريحـان الجنـان

مر بمحله ابراهيم بن المهدى فسمعه بصدد مراجعة تلحين جديد فحفظه منه خلسة وفى اليوم الموالى حضر الموصلى لدى الـرشيد وانشـده اللحـن وبسؤاله اجاب انه صنعه البارحة فعارضه المهدى وقال انه قديم يحفظه وانطلق فغناه فنهر الرشيد الموصلى وقرعه ولما خرج هذا الاخير اعلم ابراهيم بن المهدى الخليفة بالواقعة فدعا بالموصلى واسترضاه واهداه خمسة الآف دينار على اللحن .

تعلق غرض ابراهيم بشراء ضيعة ثمنها مائة الف درهم فدعا بالمغنى مخارق وعلمه لحنا ووجهه الى الوزير يحيى بن خالد البرمكى ليعلمه بدوره الى جواريه فاعطاه المائة الف للملحن وعشرة الآف له ولكن ابراهيم الموصلى شح بالمال واعاد الكرة فى اليوم الثانى مع الفضل بن يحيى بلحن احسن من الاول . فتحصل به على عشرين الف للمغنى مخارق ومائتى الف للملحن ـ فاعاد ثالثة مع الوزير جعفر ابن يحيى البرمكى بلحن احسن من سابقيه وتحصل به ثلاثين الفا للمغنى وثلاثمائة الف للملحن وسمع يحيى بهذه الجولة الفنية فاشترى الضيعة لحساب ابراهيم الموصلى . وفى ذلك اعتراف بحق الملحـن وتفضيله على حق المؤدى بعشرة اضعاف .

ويعد انتاج ابراهيم تسعمائة قطعة فاقت ثلاثمائة منها انتاج عصره . وكان كثيرا ما يرافقه فى غنائه منصور زلزل بالعود وبرسوم بالناى الذى اخلص له بعد وفاته سنة 188 هـ / 804 م .

ومات ابراهيم فترك مجموعة من تلاميذه رفعوا رايـة الفـن بعده على راسهم زعيمهم ابنه اسحاق .

احمـد بـن يحيـى المكـى

كان يلقب ظنينا وهو احد الملحنين البارزين والرواة للغناء المحكمى الصنعة وكان اسحاق يقدمه ويؤثره ويشيد بذكره ـ وله كتاب فى الاغانى (المجرد) يعتبر اصلا من الاصول المعول عليها وكان يجمع اربعة عشر الف صوت مع نسبها واجناسها .

وتناظر احمد ذات ليلة مع المغنين لدى المعتصم فقال : فى آخر المباراة : يا امير المؤمنين من شاء منهم فليغن عشرة اصوات لا اعرف ثلاثة منها ؟ ـ وانا اغنى عشرة وعشرة وعشرة لا يعرف احد منهم صوتا منها ـ فايده فى معرفته اسحاق وعلويه وابن بسختر فامر له الخليفة بعشرين الف درهم .

وفى مناسبة اخرى طلب المعتصم من احمد ان يبدأ بغناء الاصوات التى امتاز بها ففعل وغنى عشرة فعشرة فعشرة من التراث الذى لم يحفظه احد من المغنين ومن يومها امر المعتصم الايراجعه احد فى غنائه ولا يعارضه احد من المغنين .. وخلع عليه الخليفة خلعا لها شان من الوان شتى .

وتوفى احمد بن يحيى المكى فى اول خلافة المستعين سنة 248 هـ/832م بعدما ركز التراث الموسيقى وثبته لدى ثلة من ابرز مغنى عصره .

اسحـاق الـموصلـى

هو ابو محمد اسحاق بن ابراهيم الموصلى ولد سنة 150 هـ (767 م) واغترف الفن من حوض ابيه ابراهيم كما تعلم العزف على العود على خاله (زلزل) وحضر حلق المحدثين والعلماء والادباء حتى اصبح ملما بجميع العلوم المعروفة فى عصره واكتسب بذلك شهرة لم ينلها غيره تمكن بها من الانظمام الى دائرة موسيقى البلاط فى عهد هارون الرشيد (170 ـ 193هـ 786 ـ 809م) وسمح له الخليفة المامون (198 ـ 218 هـ 813 ـ 833 م) بالدخول عليه مع الادباء والعلماء ثم سمح له بارتداء الملابس العباسية السوداء التى كانت من خصائص الفقهاء ـ وقال فيه : (لولا ما سبق على السنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتى فما اعرف مثله ما يزال صدقا وعفة وفقها) وقال فيه الخليفة الواثق بالله (227 ـ 232 هـ 842 ـ 846 م) (ماغنانى اسحاق قط الا وظننت انه قد زيد لى فى ملكى).

وقد ذكر فى الفهرست انه الف نحو الاربعين كتابا منها مجموعة تعنى باغانى الفنانين مثل عزة الميلاء ، ومعبد وحنين وطويس وابن مسجح ...

وعرف اسحاق شاعرا مبدعا فمن قوله :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى ... فذلك شيء ما اليه سبيل
ارى الناس خلان الكرام ولا ارى ... بخيلا له حتى الممات خليل
وانى رايت البخل يزرى باهله ... فاكرمت نفسى ان يقال بخيل

الى ان قال يقصد الرشيد :

وكيف اخاف الفقر او احرم الغنى ... وراى امير المؤمنين جميل

ومن شعره :

هل الى ان تنام عينى سبيل ... ان عهدى بالنوم عهد طويل
غاب عنى من لا اسمى فعينى ... كل يوم وجدا عليه تسيل

وكان اسحاق زعيم المدرسة التقليدية منافسا فى ذلك ابراهيم بن المهدى الذى كان زعيم المجددين وقد توفى سنة 234 هـ (848 م) ورثاه الخليفة المتوكل (232 ـ 247 هـ 846 ـ 861 م) بقوله : (ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته) وقد ابقى اثره فى جميع الفنانيين بالشرق وفى المغرب والاندلس بواسطة تلميذه على ابن نافع الملقب بزرياب .

ابـن جـامـع

هو ابو القاسم اسماعيل بن جامع . ينسب الى قريش . ولد بمكة ومات ابوه وتركه صبيا فتزوجت امه من لمغنى سياط فاعتنى به وعلمه الى ان صار من المغنين البارعين فى العصر العباسى . واشتهر مع ذلك بالتقوى والتدين .

وتقول جاريته المفضلة (حولاء) انه كثيرا ما يستيقظ من نومه ليملي عليها او على ولده هشام لحنا حفظه عن طيف ياتيه فى المنام ؟

وكان ابن جامع كثيرا ما يتزاحم مع ابراهيم الموصلى وتحاكما ذات يوم لدى برصوم الزامر المشهور فقال فيهما : الموصلى بستان تجد فيه الحلو والحامض والطرى الذى لم ينضج فتاكل من هذا وذاك . وابن جامع زق عسل . ان فتحت فمه خرج عسل حلو . كله . وهذا الحكم وان لم يشتم الموصلى لكنه فضل ابن جامع . واقام هارون الرشيد حفلا تخلف عنه ابراهيم الموصلى لسبب وفى اليوم الموالى سال الوزير جعفر البرمكى عن السهرة فاراد تطييب خاطره لما يعلم من المنافسة التى بينه وبين ابن جامع فقال له ان الاخير خرج فى غنائه عن الايقاع فتطاول على الوزير واجابه بقوله : اتريد ان تطيب نفسى بما لا تطيب به . لا والله ما عفس او سعل ابن جامع منذ ثلاثين عاما الا بايقاع . فكيف يخرج اليوم عنه ؟

وكان ابن جامع يتصيد الكلمة الاخاذة فيضفى عليها من الحانه ويبحث عن اللحن الشعبى الاصيل ليركز عليه تاليفه الموسيقى فمن الابيات التى اشتهرت بتلحينه لها :

فلـو كـان لى قلبان عشت بواحد

وخلفت قلبـا فـى هـواك يعـذب

ولكنمـــا احيـــا بقلب مـــروع

فلا العيش يصفو لى او الموت يقرب

تعلمت اسباب الرضى خوف سخطها

وعلمهـا حبى لهـا كيـف تغضب

وبينما كان ابن جامع بالطريق واذا بجارية سوداء تحمل قربة ماء وقفت للاستراحة واخذت تغنى :

فردى مصـاب القلب انت قتلتـه

ولا تبعـدى فيمـا تجشمت كلثما

الى ان يقول :

ابيت فمـــا تنفـك لى منـك حاجـة

رمى الله بالحب الذى كان اظلما

ثم استعدت لاستئناف السير فطلب منها اعادة اللحن فاعادته مقابل اجرة يومها (درهمان) وفى اليوم الموالى ذهبت عنه من اللحن جملة فذهب الى مكان استراحة الجارية فاذا هى تغنى لحنا آخر . فطلب منها اعادة لحن الامس فلم تفعل الا بعد ان قبضت الدرهمين وبعد مدة انشد لدى هارون الرشيد لحنا جديدا مرتكزا على ما سمعه من الجارية فاجازه عليه باربعة الآف دينار .

وهكذا رأينا ان ابن جامع كان فنانا موهوبا ومغنيا بارعا وموسيقارا ثابت الايقاع اصيل اللحن . كان له دور كبير فى تركيز المدرسة الموسيقية التى كانت احدى اركان العصر العباسى الزاهر .

بـذل

عاشت بذل فى العصر العباسى الاول عصر النهضة والعلوم والفنون وكانت مع جمالها الخلاب تحفظ من التراث ثلاثين الف صوت ـ وقد الفت كتابا فى الاغانى المنسوبة بلغت فيه الى اثنى عشر الف صوت وكانت عازفة ممتازة على آلة العود تطارح اسحاق الموصلي وابراهيم بن المهدي .

اشتراها جعفر بن موسى الهادى ثم افتكها منه محمد الامين ابن هارون الرشيد باذلا له عشرين الف درهم واعتبرها كنزا يهون فى سبيله الاموال الطائلة ، وبقيت عنده حتى تولى الخلافة وبعد وفاته لم ترض بغيره بديلا وبقيت تعيش من ثمن ما تبيعه مما خلفه لها من حلى واثاث ثمين .

تخرجت بذل على ايدى ابن جامع وقليح ودحمان وابراهيم الموصلى وكانت تطارح ابراهيم بن المهدى وكان يعظم مكانتها الفنية ويتودد اليها ويدافع عن مكانتها حتى تولى الخلافة التى لم تدم له اكثر من عامين ثم تربع على عرش الفن مدة ابن اخيه المامون فظهرت منه جفوة وتغلب عليه الكبرياء ونسى ، بذل ، الفنانة العاطفية الوهوبة فذهبت اليه وغنت امامه مائة صوت فى ايقاع واحد ومقام متحد وعزفتها باصبع واحد ثم تركت العود وانصرفت ولم ترجع اليه حتى عاد الى طبيعته الاصلية .

وكانت «بذل» كريمة النفس حرة لم ترض بالتزوج ممن تقدموا لها من خيرة القوم وفيها يقول على بن هشام :

فـان ذهبت نفسـى عليكـم تشوقـا
فقـد ذهبـت للعـاشقـين نفـوس

وماتت فى عصر المامون بسبب ضربة اصابتها من شخص يدعى ابا الكركدن ـ من طبرستان اصيب بجنون وذلك فى حفل بحضرة المامون بسبب عبث الحاضرين به .

حكـم الـوادى

هو الحكم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك 86 ـ 96 هـ / 705 ـ 715 م . وكان والده حلاق الوليد غنى له يوما فاشتراه واعتقه.

اصله من الفرس طويلا احول كان فى اول عهده حمالا يحمل الزيت من المدينة الى الشام. تعلم الموسيقى على جماعة ممتازة من وادى القرى منهم الحكم بن يحيى وعمر بن زاذان وابن عبيد ويعقوب الوادى .

وقال اسحاق الموصلى لابنه حماد احذق من رأيت من المغنين اربعة : جدك يعنى ابراهيم الموصلى وحكم الوادى وفليح وسياط .

مر الوليد بن اليزيد على جماعة من المغنين وقد كان راكبا حمارا وعليه جبة موشاة وبيده عقد جوهر فقال لهم من اطربنى فله كل ما عندى الآن فغنوه فلم يطربه الا حكم الوادى فاهداه الحمار والثياب مع الف دينار .

تناول حكم الوادى الاهزاج عند كبره فلامه ابنه على ذلك قائلا له ابعد الكبر تغنى غناء المحنثين ؟ فاجابه : غنيت الثقيل ستين سنة فلم انل منه القوت . وغنيت الاهزاج سنيات فاكسبتك ما لم تر مثله قط .

وقال الاصمعى رايت حكما الوادى حين مضى الخليفة المهدى الى بيت المقدس وقد عارضه فى الطريق واخرج دفه ونقر فيه وقد تقدم فى السن وقال : انا يا امير المؤمنين القائل :

متى تخـرج العـرو س فقـد طـال حبسهـا

فتسرع اليه الحرس فقال الخليفة (دعوه) ولما علم انه حكم واصله واحسن اليه . ولما مرض قال فيه الدارمي :

ان ابـا يحيى اشتكى علـة اصبـح منهـا بيـن عـواد
فقلـت والـقلب بـه مـوجع يـا رب عـاف الحكم الوادى

ومات فى اول خلافة الرشيد سنة 175 هـ / 791 م عن سن متقدمة .

دحمـان الاشقـر

اسمه عبد الرحمن بن عمر ويقال له : دحمان الاشقر كان من ابرز تلاميذ معبد ورواة غنائه . ومع ذلك كان كثير الصلاة مدمنا على الحج مشهورا بالصلاح معتبرا عند قضاة المدينة وكان من ابرز مغنى الخليفة المهدى 158 ـ 169 هـ / 775 ـ 785 م) اعطاه فى ليلة واحدة خمسين الف دينار وروضتين من رياض المدينة فراجع الوزير ابو عبيد الخليفة المهدى فى هذا العطاء فلم يتراجع وصولح دحمان عليهما بخمسين الف دينار .

وجد دحمان جارية تبكى بالطريق فاسترضاها واشتراها من سيدتها التى تسيىء لها بمائتى دينار ثم علمها الشعر والغناء وكان يحملها معه فى اسفاره وبينما هو بالشام تحت خيمة بالطريق اذ اقبل عليه رجل استمع الى غنائه فاجلسه واكرم وفادته ثم غنت الجارية فطلب منها الضيف ان تغنى من الحان دحمان ففعلت فطلب الضيف شراءها فطلب دحمان سعرا مشطا ليحتفظ بها (عشرة آلاف دينار) فاعطاه المبلغ واذا هو الوليد بن اليزيد (125 ـ 126 هـ / 743 ـ 744 م) وحملها معه ولما تفطن بان سيدها هو دحمان اتى به من المدينة واكرمه .

وهكذا نرى ان دحمان غنى لدى ملوك الدولتين الاموية والعباسية وتوفى فى عهد موسى الهادى (169 ـ 170 هـ / 785 ـ 786 م) وقد خلف ابنين اشتهرا بالغناء هما عبد الله والزبير الذى كان يفضله ابراهيم الموصلى على ابيه واخيه .

وفيه يقول اعشى بنى سليم :

اذا هـزج الـوادى او ثقـل دحمـان
سمعت الشدو من هذا ومن هـذا الميـزان
فهـذا سيد الانـس وهـذا سيد الجـان

واختير من الحانه فى المائة صوت من الغناء العربى ـ من شعر الاحوص :

رانـى لآتى البيت مـا ان احبـــه
واكثـر هجـر البيت وهو حبيب
واحبس عنك النفس والنفس صبة
بقـربـك والمشى اليـك قريب .

دنـانـيـر

كانت دنانير لرجل من المدينة المنوره ادبها وخرجها فـى الغناء حتى حذقت القديم منه وكانت صفراء من احسن النساء وجها واظرفهن واكملهن ادبا واكثرهن رواية للشعر والغناء رآها الوزير يحيى بن خالد البرمكى فوقعت بقلبه فاشتراها بثمن باهظ .

وكان هارون الرشيد يكثر مصيره للوزير يحيى لشدة شغفه بدنانير ليسمعها حتى الفها واشتد اعجابه بها وكان يهب لها هبات ثمينة منها انه وهب لها فى ليلة عيد عقدا قيمته ثلاثون الف دينار ـ ولما علمت زوجته بذلك شكته الى عمومته واقاربه فاجابهم الخليفة بانه مشغوف بصوتها واسمعهم اياه ليتاكدوا عذره فاقنعوا زوجه زبيدة بان العلاقة لم تتعد الغناء ولكن استمرت بها غيرتها فاهدت له عشر جوار حتى لا يتعلق بدنانير منهن مراجل ام الخليفة المامون و (ماردة) ام الخليفة المعتصم . وتخرجت دنانير فى الغناء على المطربة بنل وعلى فليح ـ وابن جامع وابراهيم الموصلى وابنه اسحاق ونظرائهم حتى اصبحت ملحنة شهد لها ابراهيم الموصلى بالامتياز ـ

ولشدة جمالها تفانى فى حبها الاكابر والفنانون والشعراء بعد مقتل سيدها والفوا فيها الشعر والغناء فلم ترض بهم . وقد تغنى بها عقيد واستمرت اغنيته الى زمان الامين :

هـذى دنانيـر تنسانى واذكـرها ... وكيف تنسى محبا ليس ينساها
اعـوذ باللـه من هجران جارية ... اصبحت من حبها اهذى بذكراها
تامت تمشى فليت الله صيرنى ... ذاك التراب الـذى مستـه رجلاها
والله واللـه لـو كانت اذا برزت ... نفس المتيـم فـى كفيـه القاهـا

دعاها الرشيد للغناء بعد ان فتك بسيدها وعائلته فقالت له : يا امير المؤمنين آليت الا اغنى بعد سيدى ابد ـ فامر بصفعها واجبرها على الغناء ففعلت وهى تبكى احر بكاء فرق لها واس باطلاقها فانصرفت ـ الى ان ماتت فى آخر مدة الرشيد 193/809 م .

ذات الـخـال

كانت فتاة خلابة الجمال اشتراها ابراهيم الموصلى وادبها وعلمها الغناء فاذا هى تسلب له عقله وحبه حتى قال فيها وفى نخاسها المعروف باسم ابى الخطاب :

اليـك اشكـو ابا الخطاب جارية
غريـرة بفـؤادى اليـوم قد لعبت

وانـت قيمهـا فانظـر لعاشقهـا
يـا ليتهـا قربت منى ومـا بعدت

وكان لكثرة اشعار ابراهيم فى محاسـن ذات الخـال وجمالها مجلبـة للانظار حتى وصل خبرها الى هارون الرشيد فبذل فيها سبعين الف درهم وتعشقها لكنه لاحظ انها شديدة الميل الى الموصلى فاهداها الى احد زنوجه ،، حمويه ،، تنكلا بها ، ثم ندم على فعلته واوجد سبيلا لاسترجاعها فكانت احدى النساء الثلاث اللائى تملكن قلبه وهن : سحر وضياء وذات الخال .

وقال فيهن :

ملك الثلاث الآنسـات عنـانى
وحللـن مـن قلبى بكـل مكـان

مـالى تطـاوعنى البـريـة كلهـا
واطيعهـن وهـن فـى عصيـانى

مـاذا ؟ الا ان سلطـان الهـوى
وبـه قويـن اعز مـن سلطـانى

والمعروف انها ملكت قلب امير المؤمنين وهى مدركة حبه لها وما يشعر به من تناسب بينه وبينها حتى فى تقابل الخال فانزلقت فى حبه ووصلت بها الغيرة عليه ان قطعت ذات يوم ما تظنه مصدر جمالها اى الخال ولكن الرشيد استمر فى حبه لها بل زاد فى تعشقها وقال فيها عباس ابن الاحنف :

الاليت ذات الخال تلقى من الهوى
عشير الـذى القى فيلتئم الشعب
اذا رضيت لم يهنئنى ذلك الرضا
لعلمى به ان سوف يتبعه عتب
وابكى اذا اذنبت خوف صدودها
واسألهـا مـرضاتها ولهـا الـذنب
وصـالكم هجـر وحبكـم قلـى
وعطفكم صـد وسلمكم حـرب

الزبيـر بـن دحمـان

تتلمذ على والده دحمان الاشقر حتى صار من المحسنين المتقنين الرواة الضراب المتقدمين فى الصنعة قدم على هارون الرشيد مع اخيه عبد الله ـ ولما رآه اسحاق الموصلى عند قدومه قال لوالده ابراهيم رايت رجلا ما شئت من رجل : عقلا ونبلا ودينا وادبا وسكونا ووقارا مثل ابيه (دحمان) ولما سمعه جلبه الى جماعته المؤيدة للغناء القديم التقليدى ضد حزب المجددين الذى يتزعمه ابراهيم بن المهدى .

ولما استمع الرشيد الى صوته الاول :

ارحـلا صاحبى حـان الرحيـل وابكيـانى فليـس تبكى الطلول
قد تولى النهار وانقضت الشمس يمينـا وحـان منهـا افـــول

استعاده ثلاث مرات واجازه بثلاثين الف درهم وقومه اسحاق بعشرين الف دينار وقوم اخاه عبد الله بعشرين دينار فقط .

كان الرشيد يوما فى حالة غضب مع زوجه ام جعفر فخرج ليلا واستقر على دجلة واذا بصوت مغن من بعيد يؤدى قصيدا للعباس بن الاحنف :

جرى السميل فاستبكانى السميل اذ جرى وفاضت له من مقلتى غروب

فاحضر الشاعر والمغنى واذا هو الزبير بن دحمان وصار يستعيد للغناء والشعر حتى الصباح ودخل بعد ذلك على زوجته ناسيا غضبه ـ ولما علمت سبب رجوعه منحت كلا من الشاعر والمغنى الف دينار .

ونظـم الـرشيد مبـاراة فـى تلحـين قصيـد عـن تشـوقـه لبغـداد وكـان بعيـدا عنهـا وفيهـا جـاريتـه المفضلـة ـ

شارك فيها عشرة من ابرز الملحنين بما فيهم اسحاق وابن جامع ويحيى المكى ففاز الزبير وحده واعطى جائزة سنية .

واستمر بعد ذلك يغنى للرشيد وينتج له القطع فى ابرز المناسبات كقصيد انتصاره فى طبرستان

الا ان حزب الله ليس بمعجز وانصاره فى منعة المتحرز

والخليفة يجزل عطاءه ويغمره بعطفه وتشجيعه .

عبد الله بن العباس الربيعى

كان شاعرا مطبوعا ، ومغنيا محسنا جيد الصنعة نادرها ، حسن الرواية حلو الشعر طريفه .

دخل الوزير محمد بن عبد الملك على الخليفة الواثق (227 ـ 232 هـ 842 ـ 846 م) وعبد الله يغنيه صوتا استحسنه ـ فقال له : هذا والله يا امير المؤمنين اولى الناس باقبالك عليه واستحسانك له واصطناعك اياه يجمع بين الظرف والادب وصحة العقل وجودة الشعر .

وكان عبد الله اول من عزف على الكنكله وغنى عليها وهى آلة هندية ذات وتر واحد يمر على قرعة .

وقد تعلم الغناء والموسيقى بسبب محبته لجارية عمته تحسن الفن فذكر لعمته انه يريد تعلم الغناء بستر عن جده فكلفت به الجارية وصار ملازما للجارية لمحبته لها بعلة الغناء حتى حذق هذا الفن وتمكن منه فصار يلازم مجلس جده الفضل بن الربيع الذى كان يسر بذلك ويظنه تقربا منه ولكن السبب الاصلى هو اخذ الغناء وكان يحفظ بعد السماع الثانى ـ الى ان صنع صوتين عرضهما على محبوبته فاكدت له انهما فى اعلى مستوى الصنعة وحفظتهما منه الجوارى وغنتهما للخليفة الرشيد واعلمته بنسبتهما فطلب احضاره وقد غم جده بذلك فاسترضاه عبد الله بحلفه بان لا يغنى الا للخليفة او لولى العهد ـ ولما غنى ـ الرشيد لاول مرة اهدى له عشرة آلاف دينار وثلاثين ثوبا فاخرا وعبية مملوءة بالطيب .

وغنى الواثق فى يوم نيروز (استقبال الربيع) :

باكـر صبوحـك صحبـة الفيروز
واشرب بكـاس مترع وبكـــوز
ضحك الربيع اليـك عـن نـواره
آس ونسـرين ومـرمـا حـــوز

فلم يستتم غيره وامر له بثلاثين الف درهم وغنى المتوكل فطرب وقال : احسنت والله يا عبد الله اما والله لو رآك الناس كلهم كما اراك لما ذكروا مغنيا سواك ابدا .

من شعره :

افـدى التـى قـلت لـها — والبـين منـا قـد دنـا
فقـدك قد انحـل جسمى — واذاب البـــدنـــا
قـالت : فمـاذا حيلتى — كـذاك قـد ذبـت انـا
باليـاس منـى فافتنـع — قلت : اذن قـل الغنا .

وهكذا نرى ان هذا المطرب الاديب بدأ غناءه زمن هارون الرشيد واستمر يغنى بالتقان الى زمن المتوكل .

عـريـب

من المغنيات البارزات فى العصر العباسى .

وقد كانت غاية فى الجمال وحسن الصوت ودقة العزف . وقال فيها شيخ اهل الفن اسحاق الموصلى : ما رأيت امراة اضرب من عريب ولا احسن صنعة ووجها ، ولا أخف روحا .

وكسبت عريب شهرة عظيمة بين اهـل الفـن لتمكنهـا مـن النغمات والايقاعات ولحفظها لواحد وعشرين الف لحن من التراث الموسيقى وقـد قارنها معاصروها بالفنانات القديمات اللائى ركزن اسس الموسيقى العربية مثل عزة الميلاء ــ وجميلة .

ولكن عابوا عليها سلوكها البوهيمى الذى يكتسى شيئا من الافراط فى الحرية فقد كانت لسيدها الاول : عبد الله بن اسماعيل قائد البحرية فى عهد هارون الرشيد ثم فرت مع عشيق لها الى بغداد وهناك لم تلق معه حظها فضبطت تغنى فى الحدائق وارجعت لسيدها ثم دخلت بلاط الخليفة محمد الامين وبعد وفاته ارجعت لسيدها الاول فهربت منه ثانية وتزوجت مع احد عشاقها الى ان جلبها الخليفة عبد الله المامون الى بلاطه واستمرت تطرب الملوك وتسلب العقول بصوتها الرنان وجمالها الخلاب الى ان توفيت فى عهد المعتصم بالله سنة 227 هـ 842 م وامر بعد ذلك الخليفة المعتمد سنة 279 هـ 892 م بتدوين اغانيها .

علـويـة

علي بن عبد الله بن سيف اصل جده من الصغد القاطنيـن بناحيـة سمرقند كان مغنيا حاذقا ومؤدبا محسنا وضاربا متقدما مع خفة روح وطيب مجالسة وملاحة نادرة اعتنى به ابراهيم الموصلي وعلمه وخرجه وعنى به جدا حتى غنى في بلاط محمد الامين وعاش الى ايام المتوكل ومات بعد اسحاق الموصلي بمديدة يسيرة ـ وكانت وفاته بسبب مرض جلدي اصيب به فاعطى دواء مسهلا وطلاء فشرب الطلاء وطلي بالدواء المسهل .

وفضله اسحاق الموصلي على مخارق قائلا لابنه : يابني علويه اعرفهما فهما بما يخرج من راسه ومخارق اعلمهما بما يغنيه ويؤديه .

ويقول فيه الخليفة الواثق علوية اصح الناس بعد اسحاق ـ واطيب الناس صوتا بعد مخارق واضرب الناس بعد دربرب وغناؤه مثل نقر الطست يبقى ساعة في السمع بعد سكوته

وكان علويه يضرب العود باليد اليسرى ويرتب اوتار العود بما يتماشى مع طريقة ضربه .

وقال فيه عبد الله بن طاهر لو اقتصرت على رجل واحد لما اخترت سوى علويه لانه ان حدثني الهاني واز غناني اشجاني وان رجعت الى رايه كفاني .

وكان يختلط عند الناس لحنه مع الحان اسحاق الذي اجاب يوما عن احد الالحان : ليس ذلك لي بل هو لعلويا وقد لعمري احسن فيه وجود ما شاء

عـلـيـة

هي الاميرة علية بنت الخليفة العباسي المهدي واخت الخليفة هارون الرشيد والخليفة الفنان ابراهيم ابن المهدي . كانت امها مكنونة من اجمل مغنيات المدينة اشتراها المهدي في خلافة والده ابي جعفر المنصور بمائـة الف درهم وفضلها على زوجة (الخيزران) واخفى امرها الى وفاة ابيه .

وقضت صباها في احضان الخلافة العباسية فتعلمت وتثقفت ورضعت لبان الفن من والدتهـا فنشأت مغنية مطربة وملحنة بارعة وشاعرة بليغة . وكانت بازاء ذلك تقية ورعة وهي التي تقول : ما حرم الله شيئا الا وقد جعل منه عوضا . فبأي شيء يحتج عاصيه والمنتهك لحرماته ؟ وهي التي تقول :

لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط .

وقالت عن شعرها المملوء بالغزل : لا اقول شعرى الا عبثا .

وقدمها بعض المؤرخين عن اخيها ابراهيم في الغناء والتلحين رغم ما اشتهر به من كونه رئيس مدرسة المجددين وابرز مزاحم لاسحاق الموصلي وابيه . وقالوا عنها : ما اجتمع في الاسلام قط اخ واخت احسن غناء من ابراهيم بن المهدي واخته (علية) وكانت تقدم عليه .

وكانت لمكانتها العالية لا تغني الا في ناديها الخاص الذي يجمع خيرة الادباء والفنانين او لدى امير المؤمنين في حفلات خاصة .

حضر الرشيد ذات ليلة بيت ابراهيم الموصلي وطلب الغناء فتقدمت اليه جارية بلحن طروب في ما بدايته :

بنى الحب على الجور فلو انصف المعشوق فيه لسمج

فطارت وسأل عن اللحن فاجابته القينة بانه والكلمات لاخته (علية) وغنته جارية ثانية :

تحبب فان الحب داعية الحب
وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

فاعجب بالكلمات واللحن فاذا هما لعلية . وغنت ثالثة :

يامورى الزند قد اعيت قوادحه
اقبس اذا شئت من قلبى بمقباس

ما اقبح الناس فى عينى واسمجهم
اذا نظرت فلم ابصرك فى الناس

واستعاد الرشيد القطعة مرارا ولما علم انها لاخته نظما وتلحينا ذهب اليها فى ساعة متاخرة من الليل . فشكرها واحيا معها بقية السهرة .

وتروى لنا حادثة ان علية كانت بارعة الاخراج متقنة التنظيم وصورة ذلك ان ام جعفر زوج الرشيد اشتكت اليها ميل زوجها الى جارية جديدة بديعة الجمال . فاجابتها بقولها : لا يهولنك هذا فوالله لاردنه اليك .

ثم دربت جواريها وجوارى ام جعفر وبقية جوارى القصر على غناء لها صاحبته باخراج وحركات جذابة والبستهن اجمل الثياب وابهى الحلى وابرزتهن للخليفة وهى مع ام جعفر فى مقدمة المشهد الذى لم يشاهد الرشيد مثيله فياخذه الاعجاب والطرب ويقبل معتذرا لزوجه مكرما لاخته التى افهمته الموقف بشعر الغناء الذى كان :

منفصل عنى وما قلبى عنه منفصل
يا قاطعى اليوم فمن نويت بعدى ان تصل

وهكذا كانت عليه الاميرة الورعة والمغنية البارعة التى رفعت درجة الغناء واهله وحلقت فى سماء الادب وقضت حياتها فى السعادة التى يتمناها كل اديب وفنان .

فريدة

كانت الجارية المفضلة للواثق العباسى المتولى سنة 227 هـ 842 م اهدتها له عمرو بن بانة مع صاحبة لها اسمها (خل) وتسابقت مع المغنيات فكانت تمتاز مع (شاريه) فى الطيب واحكام الغناء وتمتاز فريدة بالجمال الفائق والفطنة الحادة .

ويحكى محمد بن الحارث انه كانت له نوبة اسبوعية عند الواثق وكان عنده من المغنين مثله لا يحضرون الا فى نوباتهم فاحضره الواثق يوما فى غير نوبته وادخل للقصر فاذا الخليفة جالس فى دار حيطانها وارضها ملبسة بالوشى المنسوج بالذهب وهو جالس على سرير مرصع بالجواهر والى جانبه فريدة عليها ثياب مرصعة وقال الخليفة : طلبت الله ثالثا يؤنسنا فلم ار احق بذلك منك . ثم غنت فريدة :

اهابك اجلالا وما بك قدرة
على ولكن ملء عينى حبيبها

فجاءت بالسحر وجعل الواثق يجاذبها وهى تغنى الصوت بعد الآخر واغنى انا فى خلالها فمر لنا احسن ما مر لاحد، فانا لكذلك اذ رفع الخليفة رجله وضرب بها فريدة وكسر عودها وخرجت تعدو وتصيح . فوجم الجميع وخاف بن الحارث لا يقطع عنقه بسبب غيره الملك وبعد حصة اعترف الملك بانه تصورها مع غيره فى هذه السعادة فهاجمت غيرته عليها . ثم ارجعت اليه واخذ يبكى ويعانقها وقص عليها وهمه واهدى لها عقدا من الجوهر ما رئيت قط مثل جوهر كان فيه . وبقيت ترفل فى السعادة كامل مدة الواثق .

ويستطرد ابن الحارث قائلا : انه جلب الى القصر مدة المتوكل 232 ـ 247 هـ 846 ـ 861 م فوجد الخليفة فى نفس المكان وحذوه فريدة تمتنع من الغناء ولما اجبرت غنت ما آخره :

فلا تبعد فكل فتى سيأتى
عليه الموت يطرق او يغادى

وضربت بالعود على الارض وخرجت تبكى وتصيح (واسيداه) اخلاصا للوائق .

وتخلت عن الغناء وحضور الحفلات الى ان ماتت فى آخر عهد المتوكل سنة 247 هـ - 861 م .

فليح بن ابى العوارء

من اهل مكة وهو مولى لبنى مخزوم له محل كبير وموضع جليل فى الدولة العباسية ويقول اسحاق الموصلى : ما سمعت احسن غناء من فليح وابن جامع .

وكان فليح زيادة عن غنائه المتقن احد من يحكى الاوائل فيصيب ويحسن وكان الخليفة المهدى يسمع المغنين جميعا من وراء الستارة لا يرون وجهه وذات يوم غناه فليح شعرا لعبد الله الزبيرى يساله ان ينادمه فاستجاب لسؤال الشاعر والمغنى واصبح بذلك فليح هو المغنى الوحيد الذى يجالس الخليفة مباشرة .

وذكر ابراهيم بن المهدى ان فليحا قدم دمشق وهو يناهز المائة سنة عندما كان واليا عليها من قبل الرشيد واشتهر غناؤه بها وقد ملك القلوب بخفته واقام لديه ثلاث سنين علم اثناءها الجوارى كل انتاجه وشاع بذلك غناؤه فى كل بلاد العرب ويؤكد ذلك قدوم المغنى مونق من فسطاط مصر وهو يغنى لفليح :

يا قرة العين اقبلى عذرى
ضاق لهجرانك صدرى

لو هلك الهجر استراح الهوى
ما لقى الوصل من الهجر .

متيم الهاشمية

ولدت متيم بالبصرة فى جنوب العراق خلال القرن الثانى للهجرة ـ الثامن ميلادى .

اكتشفتها المطربة (بذل) فرعتها ووجهتها لتدرس الغناء والموسيقى عن ابراهيم الموصلى وابنه اسحاق . وكانت ذات جمال بديع يميل الى الصفرة وذات غناء وادب وتقول الشعر :

اشتراها على بن هشام احد قواد الخليفة المامون الذى ولاه على اذربيجان ثم تزوجها وانجب منها كل اولاده وكان الخليفة المامون يكبر شانها فيدعوها لحفلاته الخاصة ويكرمها وهو الذى سمى احد اولادها (هارون) على اسم ابيه واستمر الخليفة المعتصم بعده على اكرامها .

سئل عبد الله الربيعى عن احسن الناس غناء وهو من المطربين البارزين. فقال اسحاق ثم علوية ثم متيم ثم انا وبذلك فقد فضلها على نفسه .

طلبها ابراهيم بن المهدى بحضرة المعتصم ان تعيد له صوتا فالتفتت للخليفة قائلة : كانه يريد ان ياخذه بامرها بعدم الاعادة وبقى ابراهيم يترصدها حتى سمعها يوما بصدد تعليمه لجوارى على بن هشام فوقف امام المنظرة حتى حفظه . وقال لها : قد اخذناه بلا حمدك ؟

وكانت متيم من المغنيات القلائل اللائى تعرض لهن اسحاق الموصلى فى كتابه ذاكرا الحانها وشاكرا لها مستواها الفنى الرفيع . واشتهرت متيم بالتصرف فى لباسها وهى أول من غير شكل الزنار فقلدتها بعدها النساء . وكانت كثيرا ما تغنى لنفسها ويستمع الناس اليها من بعيد ، ولما قتل زوجها على ابن هشام لحنت له نواحا خاصا اعجب به كل من حضر المأتم . وكانت تفضل البنفسج على جميع الزهور ولا يخلو صدرها منه . وصادف ان تقارب موتها وموت ولية نعمتها (بذل) وابراهيم بن المهدى زمن المعتصم 225 هـ / 840 م .

محمد بن الحارث بسخنر

اشتهر بالارتجال فى الغناء والمصاحبة بآلة المعزفة التى كانت تحمل معه لدار الخليفة ـ وكان احسن خلق الله اداء وسرعة فى حفظ الغناء ـ وقد كانت لوالده الحارث مجموعة من الجوارى اشتهرن بدقة الحفظ وكان اسحاق الموصلى يعتمدهن ويطلب ان يطارحن الغناء على جواريه .

وقال اسحاق للواثق ما قدر احد قط ان ياخذ منى صوتا مستويا الا محمد بن الحارث فانه اخذ منى عدة اصوات كما اغنيها .

واحضر الواثق محمدا وطلب منه : اى شىء اخذت من صنعته احسن عندك ـ فقدم اليه صوتا يدعى اسحاق انه لم يقدر احد على اخذه وهو :

اذا المرء قاسى الدهر وابيض راسه
وثلم تثليم الانـاء جـوانبـه
فليس له فى العيش خير وان بكى
على العيش او رجى الذى هو كاذبه

فحفظه الخليفة الواثق وجواريه ـ وكان لمحمد بن الحارث طريقة فريدة فى تعليم الغناء وكان اسحاق اعترف له بذلك امام الواثق عندما طلب منه تعليم جواريه صوتا بغاية الدقة فاجابه بانه يعلمه لمحمد بن الحارث بسخر وهذا يعلمه للجوارى بطريقته للتاكد من الاتقان فى الحفظ .

وكانت الحانه لا تقل عن مستوى الحان الموصلى حتى نسب مخارق احد الحان الموصلى له فارجعه لصاحبه وايده فى ذلك علويه وقد ترك استعمال المعزفة لسبب تشبيه مجموعة شبان لها بمصيدة الفار .

واستمر محمد يطرب ويعلم ويروى زمن المتوكل ومات فى عهده .

مخارق

هو مخارق بن يحيى بن ماووس الجزار مولى الرشيد الذى كناه (ابا المهنا) كان فى صباه يناوى على بيع اللحم بدكان والده ولما ظهر طيب صوته علمته مولاته المحسنة والمتقدمة فى الضرب على العود عاتكة بنت شهدة الموسيقى والغناء ثم باعته لابراهيم الموصلى وهذا اهداه للفضل بن يحى فاخذه منه الرشيد لحسن صوته واعتقه .

لقد كان مخارق يقف مع الشبان فى مجلس الرشيد ولا يشارك فى الغناء وغنى ذات يوم ابن جامع قصبدا مدح به الرشيد بمناسبة فتحه هرقلة .

كان نيرانشا فى جنب قلعتهم مصبغات على ارسان قصار
هوت هرقلة لما ان رات عجبا حوائما ترتمى بالنفط والنار

فطرب الرشيد واستعاده عدة مرات ولم يلتفت لغير ابن جامع بما اغضب ابراهيم الموصلى :

ولما لاحظ مخارق ذلك غمز سيده الاول ابراهيم فخرج معه فاعلمه انه حفظ الصوت وانه مستعد لاداته بطريقة تفوق ابن جامع فرجا للمجلس وقال ابراهيم للخليفة : يا امير المؤمنين : اراك متعجبا من هذا الصوت بغير ما يستحقه وان عبدى مخارق يغنيه ـ فنظر لمخارق ـ فقال نعم يا امير المؤمنين فقال : هاته ـ فغناه وتحفظ فيه ـ فاتى بالعجائب فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحا وشرب ثم التفت الى ابن جامع فاخذ هذا يحلف الايمان المغلظة انه هو صانع الصوت ولم يسمع لغيره . وبعد ذلك قص ابراهيم الحقيقة فقال الرشيد لمخارق اجلس اذن واصحابك فقد تجاوزت مرتبة من يقوم واعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار واقطعه ضيعة ومنزلا .

ولما سال المامون اسحاق الموصلى عن ابراهيم بن المهدى ومخارق اجابه بان ابراهيم اذا تغنى يفضل مخارقا بعلمه واذا تغنى مخارق يفضل ابراهيم بطبعه وفضل صوته . وايده المامون فى ذلك .

دخل الخليفة الواثق على امه فابطا ولما خرج نادى على غلمانه فلم يجبه احد فمشى واذا هم مشغولون بسماع مخارق فعذرهم وكان يرسل اليه جواريه للتعليم وكان ابو العتاهية يعجب به كثيرا وقال له : فى احدى المناسبات بعد سماعه : يا دواء المجانين لقد رققت حتى كدت احسوك ـ فلو كان الغناء طعاما لكان غناؤك ادما ، ولو كان شرابا لكان ماء الحياة ـ ولما حضرته الموت ، قال له رجل هل فى نفسك شىء تشتهيه ؟ قال : ان يغنينى مخارق :

سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتى وتحدث بعدى للخليل خليل

وكان احسن معاصريه صوتا وخرج ذات يوم مع الصيادين فتغنى واذا الظباء ترجع اليه وتقف بالقرب منه مستشرفة تنظر اليه وتسمع صوته ولما انتهى عادت الى نفارها .

ـ تعشق مخارق جارية الزبيدة زوج الرشيد تدعى (بهار) فحج معها من اجل الجارية حتى قال فيه احمد بن هشام :

يحج الناس من بر وتقوى وحج ابى المهنا للتصابى

فلما بلغ ذلك اقصته الزبيدة ومنعته من المرور ببابها ومر ذات ليلة بقارب بدجلة وهو راجع من دار المامون ـ فحاذى دار ام جعفر ـ وغنى

ان تمنعونى ممرى قرب دارهم فسوف انظر من بعد الى الدار
سيما الهوى شهرت حتى عرفت بها انى محب وما بالحب من عار
لا يقدرون على منعى ولو جهدوا اذا مررت وتسليمى باضمارى

فادخلته ام جعفر واكرمته واسمعته غناء جواريها ـ ثم اندفع يغنى :

اغيب عنكم بود ما يغيره نأى المحل ولا صرف من الزمن
فان اعش فلعل الدهر يجمعنا وان امت فقتيل الهم والحزن
قد حسن الله فى عينى ما صنعت حتى ارى حسنا ما ليس بالحسن

غنت بعده (بهار)

تعتل بالشغل عنا ما تلم بنا والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

فاستحسنت ام جعفر حوارهما الغنائي ووهبت له محبوبته بهار .

ومات مخارق في أول مدة المتوكل بسبب اكله قنطيونة باردة فماتت لحينه.

منصـــور زلزل

هو اشهر العازفين على آلة العود في العصر العباسي وقد كان موسيقيا وباحثا .

تناولت الكتب القديمة التنويه ببحوثه في المقامات وفي تطوير آلة العود وطريقة عزفها فقد كان للدرجة الموسيقية المعـروفة (بالـوسطى) مـوضعان (الوسطى القديمة) و (وسطى الفرس) فاحدث منصور زلزل وسطى ثالثة بينهما في الموقع عرفت بعده (بوسطى زلزل) وقدرها بعضهم بنسبة 22/27 من مطلق الوتر .

واخترع ايضا شكلا خاصا للعود ذكره ابن اختـه وتلميـذه (اسحـاق الموصلي) اذ يقول : ان منصور زلزل هو الذي اخترع العيدان الشبابيط اي في شكل الشبوط (وهو نوع من السمك دقيـق الـذنب عـريض الـوسط) اشتهرت في كل البلاد الاسلامية ودخلت اوروبا في القرون الوسطى عن طريق الاندلس .

وقد كان للمنصور جارية مفرط في حبها علمها طريقته في الضرب على العود ولما مات سنة 175 هـ 791 م عرضت للبيع ضمن تركته فاتصل بها اسحاق الموصلي الذي يعرف مكانتها الفنية ووجدها في حزن مضاعف لفقدانها لحبيب العمر وجبرها على العيش مع غيره تبكي وتنشد :

اقفر من اوتاره العـــود فالعـود لـلاوتـار معمـــود

واوحش المزهار من صوته فمالـه بعـدك تغريـــد

فاعلم الخليفة هارون الرشيد بامرها فاحضرها لديه وانشدت وهى تبكى :

العيـن تظهـر كتمـانى وتبديه والقلب يكتـم ما ضمنته فيـه

فاشتراها الخليفة واعتقها وانفق عليها الى ان فارقت الحياة فى عز اخلاصها لسيدها منصور زلزل .

يحيـى المكـى

هو يحيى بن مرزوق المكى من موالى بنى امية . وكان يكتم نسبته هذه لما صار فى خدمة خلفاء بنى العباس . قدم الى بغداد من الحجاز بين الذين وفدوا الى الخليفة المهدى سنة 165 هـ 781 م وكان آنذاك يوقع مع غنائه بقضيب على دواة .

وكان ابن جامع وابراهيم الموصلى وفليح يتزاحمون فى اخذ الغناء القديم عنه . وله كتاب فى الاغانى ونسبها واخبارها يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت لم يعتمده الرواة لما اشتهر به يحيى المكى من عدم الثقة فى الرواية . واستثاقوا عنه كتاب ابنه احمد الذى صحح الكثير مما خلطه ابوه .

ومن النوادر المتعلقة بثقته فى الرواية ان اسحاق الموصلى قال للرشيد : اتحب يا امير المؤمنين ان اظهر لك كذب يحيى فيما ينسبه من الغناء؟

قال نعم :

قال : اعطنى اى شعر شئت اصنع فيه لحنا واسالنى بحضرة يحى عن نسبته فانسبه الى رجل لا وجود له ـ ثم اسال عنه يحيى ـ فتم الامر .

وبعد الغناء ساله الرشيد عن صاحب اللحن فنسبه اسحاق الى «غناديس المدنى» ثم سال الرشيد ابا عثمان يحى المكى عن هذا الفنان فاكد انه تعرف عليه واخذ عنه صوتين وقدم احدهما . والحال ان اسحاق يؤكد ان اسم غناديس وهمى

ويقول احمد بن سعيد : ان الاختلاف الواقع فى كتاب الاغانى لابى الفرج الاصفهانى يرجع فى معظمه الى روايات يحى المخلوطة ؟

وكان اسحاق الموصلي يجله ويكبره رغم ما اشتهر به ويقول : ليس يخلو يحيى فيما يرويه من الغناء الذى لا يعرفه احد ، من احد امرين اما ان يكون محقا فى روايته وحينئذ فقد علم ما جهلتم . او يكون من صنعته وحينذاك فهو افضل .

والظاهر ان اسحاق تولى الدفاع عن يحى بعد ان اجرى معه صلحا يقتضى بان لا يعطى يحى الغناء القديم لسواه .

والمؤكد ان فضل يحى المكى على الموسيقى العربية كبير لانه حضر مدرسة المدينة وساهم فيها **وتمر مائة** وعشرين سنة عاشها فى اوج الحضارة الاسلامية وربيع الدولة العبسية من الخليفة المهدى الى هارون الرشيد الى المعتمد المتوفى 279 هـ ـ 892 م بين العزف والغناء، ويكفيه فخرا ان تعلم عليه اسحاق الموصلي وابوه ابراهيم .

شخصيات الأندلس والمغرب

ابـن بـاجـه

المغنى الفيلسوف والاديب

هو ابوبكر محمد بن الصائغ عرف بابن باجة فهو اندلسى سرقسطى متضلع فى الفلسفة واعتبر فى القرن السادس للهجرة الثانى عشر ميلادى فيلسرف الاندلس ، وكان ايضا اديبا ضليعا وموسيقيا بارعا يؤلف موشحاته ويلحنها، وصفه ابن خلـدون بصاحب التلاحين المعـروفة . تقلـد المناصب العليا فى الانـدلس حتى وصل الى الوزارة عند اميـرسر قسطة ابـوبكر ابراهيم بن تيفلويت فى عهد المرابطين واستمر فى هذا المنصب نحو العشرين سنة .

ومما يروى عن ذكائه انه غنى يوما امام اميره الموشح الذى مطلعه :

جـرر الذيـل ايمـا جـر وصل الشكر منك بالشكر

الى ان يقول :

عقد الله رابة النصر لاميـر العـلا ابـى بكـر

فصاح ابن تيفلويت : واطربه ؟ ممزقا ثيابه وقال ما احسن ما بدات وما ختمت واقسم الا يرجع ابن باجة لداره الا على ذهب ؟ وخاف صاحبنا من كلام الناس وسوء العاقبة فوجد الحل الذى لا يحنث به اميره وذلك بوضع قطعتى ذهب فى نعليه .

وقال فيه الامير ركـن الدين بيبرس فى تاليفه زبـدة الفكرة فى تاريخ الهجرة : «ان ابن الصائغ كان عالما فاضلا، له تصانيف فى الرياضيات والمنطق، وأنه وزر لابى بكر الصحـراوى صاحب سرقسطـة ، ووزر أيضا ليحيـى ابن يوسف بن تاشفين عشرين سنة بالمغرب ، وان سيرَته كانت حسنة ، فصلحت به الاحوال ، ونجحت على يديه الآمـال ، فحسده الاطبـاء والكتاب وغيرهم ، وكادوه ، فقتلوه مسموما » . هـ

وقد هجاه الفتح بن خاقان فى القلائد بقوله : «الاديب أبوبكر بـن الصائغ ، هو رمد عين الدين ، ورَمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا ، وهجر مفروضا ومسنونا ، فما يشرع ، ولا ياخـذ فى غير الاضاليـل ولا يشرع ، ناهيـك من رجل مـا تعهر من جنابـة ، ولا أظهر مخيلة انابـة ، ولا استنجى من حدث ، ولا أسجى فؤاده بتوار فى جدث ...» الى آخر كلامه الذى اظهر فيه سخفا وتحاملاهما ثمرة الحسد .

ومما يروى عن دقة معرفته بالملك انه مات له صديق فبات بعض اصحابه عند ضريحه وكان قد عرف وقت كسوف القمـر بصناعة التعديـل الفلكى فاختار قبيل الكسوف بدقيقة وتغنى بما يلى :

شقيقـك غيـب فـى لحـده وتشرق يا بـدر مـن بعده

فهلا كسفت فكان الكسوف.. حـدادا لبست علـى فقـده

فكسف القمر وابهت الحاضرون

وقد اعتقل هذا الفيلسوف العالم والاديب البارع ووصل به اليأس الى ان انشد فى سجنه :

لعـلك يـا يـزيد علمت حـالى فتعلم اى خـطـب قـد لـقـيـت

وانـى ان بقيـت بمثـل مـا بى فمن عـجـب الليـالى ان بقيـت

يقـول الشـامتـون شقـاء بخت لـعمر الشـامتين لـقـد شقيـت

أعنـدهـم الأمـان من الـليـالى وسـالمهم بهـا الـزمـن المقيت

ومـا يـدرون انهم سيسقـوا على كـره بكـأس قـد سقيـت

وتوفى هذا الفنان الاندلسى الكبير بمدينة فاس بالمغرب سنة 533 هـ 1138 م ودفن بها بباب الشريعة بعدما واصل السير فى الطريق الذى خطه زرياب فى مدرسة قرطبة فى القرن الثانى . ويقال ان جانبا كبيرا من التراث الاندلسى الذى وصل الشمال الافريقى هو من انتاجه .

التيفاشى

هو احمد بن يوسف بن احمد بن ابى بكر بن حمدون شرف الدين القيسى التيفاشى ولد سنة 580 هـ 1184 م بتيفاش من اقرى القريبة من مدينة قفصة فى الجنوب الغربى التونسى .

ولى القضاء بقفصة ثم انتقل الى مصر حيث قضى بقية حياته .

له كتاب فى الموسيقى عنوانه (متعة الاسماع) نقل عنه المؤرخ الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ما يتعلق بالموسيقى فى عهد الحفصيين بتونس) ما يلى :

فاما اهل افريقية (ويعنى تونس) فان طريقتهم فى الغناء مولدة بين طريقتى اهل المغرب والمشرق ، فهى احفل من طريقة اهل الاندلس واكثر نغما من طريقة اهل المشرق ، وكذلك اشعارهم التى يتغنون بها هى اشعار المولدين ، ونحن نذكر جانبا مما يتغنى به من الاشعار بالمغرب والاندلس وافريقية ليقف القارىء عليه ، فمن اشعارهم الملحنة التى يتداولون الغناء فيها فى سائر هذه الاقليم صوت :

ومنفرد بالحسن خلو من الهوى
عليم باسباب القطيعة والعتب

ثم قال (ولقد حضرت بافريقية اوائل القرن السابع الى مطرب اندلسى فغنى فى اشعر ابى تمام الذى اوله) : (نفس البيت السابق) فعددت له فى هذا البيت اربعة وسبعين مزه ، كما حضرت جارية مغنية فى مجلس عظيم من عظماء تونس تغنى هذا الشعر :

«تشكى الكميت الجرى لما جهدته»

فمر عليها فى غناء هذا البيت وحده مقدار ساعتين من الزمان . (1)

وقد بين لنا التيفاشى فى هذا النص مدى تصرف المغنين والمغنيت فى اداء البيت الواحد واثراء غنائهم بارتجالهم الشخصى .

وبين لنا التيفاشى فى فصل آخر كيف ، يتزود ملوك المغرب وافريقية بالمغنيات من اشبيليا بالاندلس اذ يقول : وتباع الجارية منهن بالف دينار مغربى واكثر من ذلك ، ولا تباع الجارية الا ومعها دفتر فيه جميع محفوظاتها . وكثيرا ما يشترط المشترى ان تكون من ضمن محفوظات الجارية قطعة (تشكى الكميت) لانها مشتهرة بين الناس ولا يمكن ان يؤديها الا مغنه مجيد فى صنعة الغناء .

وبين لنا التيفاشى تركيب النوبة المغربية فقال : انها تقوم من نشيد واستهلال وعمل ومحرك وموشحة وزجل وجميعها يتصرف فى كل بحر من البحور ـ اى ادوار الاغانى العربية

وهو بذلك يقر ما اكده الكندى فى القرن الثالث هـ من وحدة الموسيقى العربية فى الاصل واختلافها فى لهجة الاداء ـ كما يظهر لنا تطور الغناء عما كان عليه فى عهد زرياب بقرطبة ويوضح لنا من جهة اخرى توسع النوبة فى زمانه عما هى الآن فى مختلف اقطار المغرب العربى .

وتوفى صدا القاضى الفنان بمصر سنة 651 هـ 1253 م ـ وهو بذلك معاصر لصفى الدين الارموى ونصر الدين الطوسى .

(1) وقد قالت ام كلثوم فى ذلك بكثير

ابـو الصلت اميـه بن عبد العزيـز

هو ابو الصلت امية بن عبد العزيز بن ابى الصلت ولد بدانية سنة 460هـ 1068 م واقام باشبيليا فى الاندلس وقضى بها شبابه ثم انتقل الى مصر فاكرمه وزيرها الافضل شاهنشاه ثم غضب عليه فى قضية السفينة المشهورة فسجنه فى خزانة الكتب فزاد ذلك علما بالفنون التى اختص بها وبعد خروجه من السجن انتقل الى افريقية (التسمية القديمة لتونس) فاستقبله ملوكها الصنهاجيون احسن استقبال ودخل فى خدمتهم يمارس الفنون والعلوم التى امتاز بها وهى الفلسفة والطب والرياضيات والموسيقى التى تمكن منها وبرع فى تطبيقها على آلة العود وفى الانتاج عليها لمجموعة من الاغانى شاعت فى المغرب ردحا طويلا من الزمن ـ كان مع ذلك اديبا شاعرا . ومن شعره :

وقائلـة مـا بـال مثلك خاملا ... أأنت ضعيف الراى ام انت عاجز
فقلت لها ذنبى الى القوم انى ... لنـا لـم يحـوزوه من المجد حائز
وما فاتنى شىء سوى الحظ وحده ... وامـا المعـال فهى عندى غرائز

ووجهه ملك تونس الى مصر فى مهمة فاقتبله الوزير الافضل شاهنشاه وقال فيه امية قصيدته المشهورة

نسخت غرائب مدحك التشبيبا ... وكفى بـه غـزلا لنـا ونسيبـا

ثم رجع للمهدية بتونس واستقر بها . ومن شعره فى الغزل :

لا تسـالنى عـن صنيـع جفونهـا
يوم الوداع وسل بذلـك من نجا
لـو كنت املـك خـدها للثمتـه
حتى اعيـد به الشقيق بنفسجـا
او كنت اهجع لاحتضنت خيالهـا
ومنعت ضـوء الصبـح ان يتبلجا
وبثثت فى الظلماء كحل جفونهـا
وعقدت هاتيـك الـذوائب بالدجى

والف ابو الصلت الحديقة على غرار يتيمة الدهر للثعالبى وله رسالة فى الموسيقى ترجمت للعبرية . وتوفى رحمه الله بالمهدية سنة 529 هـ 1134 م ودفن بالمنستير واوصى ان يكتب على قبره :

سكنتك يا دار الفناء مصدقـا
بـانى الى دار البقـاء اصيـر
واعظم ما فى الامـر انى صائـر
الى عادل فـى الحكـم ليس يجـور
فيا ليت شعرى كيف القاء عندها
وزادى قليـل والذنـوب كثيـر

فـان اك مجزيـا بذنـبى فـانى
بنمـر وعقبـى المذنبيـن جديـر

وان يـك عفـو ثـم عنى ورحمـة
فنـم نعيـم دائـم وسـرور

زريـاب

يقول المقرى فى نفح الطيب :

ان اول من دخل الاندلس من المغنين (علون) و (زرقون) فى ايام الحكم بن هشام وقد كانا محسنين ولكن غناءهما ذهب لغلبة غناء زرياب .

وزرياب هو ابو الحسن على بن نافع مولى الخليفة المهدى (158 / 169) احد تلاميذ اسحاق الموصلى الذى قدمه الى الخليفة هارون الرشيد فاعرب عن نفسه باحسن منطق واوجز خطاب ، وساله عن معرفته بالغناء فقال : نعم احسن منه ما يحسنه الناس ، واكثر ما احسنه لا يحسنونه مما لا يحسن الا عندك ولا يدخر الا لك ، فان اذنت غنيتك ما لم تسمعه اذن قلبك . ولما احضر اليه عود استاذه اسحاق قال : لى عود نحته بيدى لا ارتضى غيره ، فامر بادخاله اليه وبين للخليفة انه يقع من وزن عود اسحاق فى الثلث وان اوتاره بعضها من حرير لم يغزل بماء سخن والبعض الآخر من مصران شبل اسد ـ ثم جس واندفع يغنى :

يا ايها الملك الميمون طائره هارون راح اليك الناس وابتكروا

فما اتم النوبة حتى طار الرشيد طربا ـ واثر هذا الموقف على اسحاق وهاج به داء الحسد والزم زرياب بالرحيل عن بغداد والا يكيد له ويقتله .

فكان ذلك من حظ المغرب العربى حيث انتقل زرياب الى القيروان ثم الى الاندلس سنة 206 هـ 821 م حيث خرج الخليفة عبد الرحمن بن الحكم لاستقباله (2) ، واسس بها اول مدرسة موسيقية . وزاد وترا خامسا للعود ، كما اخترع له مضرابا من قوادم النسر (3) عوضا على الخشب .

وقد كان زرياب يحفظ عشرة آلاف مقطوعة اكسبته ملكة متسعة جعلت الحانه متينة حية الى الآن ضمن المالوف (4) وعنى ايضا بجميع انواع الفن فقد كان يبعث الطرق الجديدة (5) فى تسريح الشعر ، وفى تخليط الروائح، وانواع اللباس المناسب لكل فصل وزمن ، والاطعمة التى اخترع منها المسمى (بالتقايا) والمسمى بالتقلية ـ واسس طريقة فى الغناء وذلك بافتتاحه بالنشيد اول شدوه يليه ما كان على وزن البسيط ويختم بالمحركات (6) . ومن شعره قوله :

هيفـاء عاطـرة نضيـرة علقتهـا ريحـانـة
بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيرة
للـه ايـام لنـا سلفت على دبـر المطيره
لا عيب فيها للمتيم غير ان كانت يسيره

وانجب زرياب ثمانية اولاد عرفوا بالغناء امتاز منهم المسمى (القاسم) وبنتين علية وحمدونة التى تزوجها الوزير هشام بن عبد العزيز . وتخرج عليه اغلب فنانى عصره . وشعت مدرسته على اروبا واشرق . وفرض نفسه على التاريخ رغم حسد الحاسدين .

(1 كما ورد فى نفح الطيب ـ (2)عن مقدمة ابن خلدون ـ (3)يستعمل الى الآن ـ (4) كلمة تدل على الاغانى المقلدية التونسية وبالاخص الموروثة عن الاندلس ـ (5) الموضة ـ(6) كانت هذه القاعدة الدعامة التى بنى عليها التاليف المسيقى فى الشرق والغرب

عبـاس بـن فرنـاس

كان موسيقيا بارعا يعتبر اول من حلل علم الموسيقى وكان يلقب بحكيم الاندلس لتبصره فى عدة علوم وقيامه بعدة تجارب واختراعات .

ـ فهو اول من ابتكر صناعة الزجاج من الحجارة بالاندلس .

ـ واول من فك كتاب العروض للخليل بن احمد الفراهيدى .

ـ واول من صنع (المنقالة) ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال .

ـ واول من حاول تطيير جثمانه حيث كسا نفسه بالريش ، ومد له جناحين وطار فى الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال فى وقوعه وتاذى فى مؤخره .

ـ وهو اول مبتكر للاخراج حيث صنع فى بيته هيئة السماء ، وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبرق والرعود .

الحاجب عبد الوهاب

هو عبد الوهاب بن حسين بن جعفر كان حاجبا للدولة الصنهاجية فى افريقية اى تونس الآن ، وارسله المنصور المتولى سنة 373 هـ 983 م مع وفد يضم الشاعر ابراهيم الرقيق والكاتب محمد بن عطية الى مصر لتدعيم صلات الاخوة والمودة مع الدولة الفاطمية ويصفه ابراهيم الرقيق صديقه فيقول : وممن ادركته وعاشرته عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب . وذكرته ها هنا لانه يلحق بالامراء المتقدمين غير خارج منهم ، ولا مقصر عنهم ، بل كان واحد عصره فى الغناء الرائع والادب البارع ، والشعر الرقيق ، واللفظ الانيق ورقة الطبع واصابة النادر والتشبيه المصيب والبديهة التى لم يلحقه فيها حد ، مع شرف النفس وعلو الهمة . وكان قد قطع عمره وافنى دهره فى اللهو واللعب والفكاهة والطرب . وكان اعلم الناس بضرب العود واختلاف طرائقه ، وصنعة اللحون ، كثير ما يقول الابيات الحسنة فى المعانى اللطيفة ويصوغ عليها الالحان المطربة البديعة المعجبة . اختراعا منه وحذقا وكانت له فى ذلك قريحة وطبع . فكان اذا لم يزره احد من اخوانه حضر مائدته وشرابه عشرة من اهل بيته منهم (جيش) ولده وعبد الله ابن اخيه وعلى وابراهيم واسماعيل بنوقيس . وعامر الشطرنجى وبعض غلمانه . كل هؤلاء يغنون ويجيدون حتى يطرب فيدعو بالعود ويغنى لنفسه ولهم وكان بشار الزامر الذى يزمر عليه من حذاق الزمرة الى آخر ما ذكره ابراهيم الرقيق

فهذا يعيطنا فكرة عن المغنى الشاعر الحاجب عبد الوهاب ويصور لنا حالة بيت من بيوت امجاد الدولة الصنهاجية بتونس .

ابو الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلى وآبنه محمد

ولد ابو الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلى بمدينة المريه بالاندلس سنة 487 هـ 1094 م وقضى بها شبابه حتى حذق الادب والموسيقى والطب وعل بالاندلس الى ان هاجر الى بغداد فى سن الثلاثين وصار يلقب فيها بالمغربى واستقبله اهلها احسن استقبال واسس بها مدرسة علم فيها الوان اختصاصه.

ثم التحق بخدمة السلطان محمد السلجوقى وصار طبيبا لمعسكره يرافقه فى تنقلاته ويقول المقرى فى شانه : كان ابو الحكم فاضلا فى العلوم الحكمية متقنا للصناعة الطبية ، حسن النادرة ، وكان يعرف صنعة الموسيقى ويلعب العود .

وانتقل عبيد الله بعد ذلك الى الشام اوستقر بدمشق وزاول بها مهنة الطب بالحى المعروف باللبادين . وانجز بها كتابا فى الموسيقى وديوانه (نبح الوضاعة لاولى الخلاعة) ويلاحظ من شعره مزج الجد بالدعابة والهزل ومن ذلك قوله لما طلب منه الشاعر بن الوحش كتابا الى ابن منير بالوصيه عليه :

ابا الحسين استمع مقال فتى ... عوجل فيما يقول فارتجلا
هذا ابو الوحش جاء ممتدحا ... للقوم فاهنا به اذا وصلا

الى ان يقول :

تنوب عن وصفه شمائله ... لا يبتغى عاقل به بدلا
وهو على خفة به ابدا ... معترف انه من الثقلا
يمت بالثلب والرقاعة والسخف ... واما بغير ذاك فلا

ومات رحمه الله سنة 549 هـ 1154 م بعدما ترك مجموعة من الطلاب البارزين واصلوا التعلق بالعلم والفن فى آن واحد من امثلهم ابنه ابو المجد

محمد الذى عينه الاتابك نور الدين زنكى لادارة مستشفيات دمشق مكان والده وعرف مع ذلك برسوخ ضلعه فى العلوم الموسيقية وبراعته فى العزف على العود والزمر والايقاع مع الغناء وتاليف الالحان واخترع ارغنا دقيقا جدد به موسيقى الجيل .

وتوفى رحمه الله فى دمشق سنة 574 هـ 1178 م بعدما ساهم فى اثراء الفن العربى .

معنيات بالاندلس

اشتهرت عدة مغنيات بالاندلس محسنات نذكر منهن :

1 ـ فضل المدينية التى كانت حاذقة للغناء ، كاملة الخصال ، اصلها لاحدى بنات هارون الرشيد نشات وتعلمت عندها ببغداد ثم انتقلت لى المدينة المنورة فازدادت طبقتها فى الغناء فاشتريت مع صاحبتها (علم) بالمدينة ومجموعة من الجوارى المغنيات للامير عبد الرحمن صاحب الاندلس الذى كان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة ادبهن وذلك مع جاريته الاسبانية (قلم) التى كانت تحذق الغناء مع رسوخ قدمها فى الادب وحفظها الاخبار واشتهارها بالذكاء .

2 ـ قمر جارية ابراهيم بن حجاج اللخمى صاحب اشبيليا جلبت اليه من بغداد وكانت من اهل الفصاحة والبيان ، ومعرفة بصوغ الالحان ، جمعت ادبا وظرفا ، ورواية وحفظا ، مع فهم بارع وجمال رائع وكانت شاعرة مجيدة ـ ومن شعرها فى سيدها :

ما فى المغارب من كريم يرتجى ... الا حليف الجود ابراهيم
انى حللت لديه منزل نعمة ... كل المنازل ما عداه ذميم

مـؤنس المغنـى

ارسل الملك ابراهيم بن الاغلب (الثانى) ابا بحر بن ادهم الى مصر والعراق سنة 283 هـ 896 م فى سفارة ليجلب اليه ما يجهز به عاصمته الجديدة (رقادة) قرب القيروان فعاد مصحوبا بثلة من الاطباء والفنانين من بينهم (مونس المغنى) الذى كان فى خدمة القائد العباسى (موسى بن بغا)

فصار مؤنس يلقن الجوارى الغناء العراقى ويطرب الملوك والامراء فى مجالس انسهم بغنائه وبعزفه على العود .

بوجوده اصبحت رقادة عاصمة الفن والملاهى بافريقية بينما احتفظت القيروان بطابعها الدينى . وقد توجه احد شعراء القيروان يخاطب الملك فى ذلك :

يا سيـد النـاس وابـن سيدهـم ... ومـن اليـه رقاب النـاس منقاده

ما حـرم الشـرب فـى مدينتنـا ... ومـو حـلال بـارض رقـــاده

واستمر مؤنس المغنى فى خدمة بنى الاغلب حتى (زيادة الله) وقد ارسل له احدى تلميذاته فى يوم كان فيه فى غم وتفكير فى امر القلاقل التى احدثتها الشيعة فغنت له :

اصبـر لدهـر نـال منـك ... فهكـذا مـضت الدهـــور

فـرح وحـزن مـرة ... لا حـزن دام ولا سـرور

ولما آل الامر للفاطميين واستعد زيادة الله للخروج للمشرق ليلة الاثنين لاربعة بقين من جمادى الثانية سنة 296 ـ 20 مارس 909 ـ وقفت له احدى

جواريه (من تلميذات مؤنس) بالباب وقد ضمت عودها على صدرها وغنت وهى تبكى :

لـم انس يـوم الـوداع مـوقفنـا ... وجفنهـا فـى دمـوعها غـــرق

وقـولهـا والـركـاب سـائـرة ... تتـــركنى سيـــدى وتنطلـق

استـودع اللـه ظبيـة جـزعت ... للبين والبيـن فيـه لى حـــرق

فبكى زيادة الله واستبكى ، وانزل حملا ذهبا كان على دابة واركب الجارية .

وانضم مؤنس بعد ذلك الى خدمة عبيد الله المهدى فى قصور رقادة ثم انتقل معه الى المهدية الى ان انتقل الى جوار ربه آخر سنة 313 هـ 925 م .

ولادة

هى ولادة ابنة الخليفة المستكفى بالله الذى تولى الخلافة بالاندلس سنة 414 هـ 1023 م شبت فى احضان الخلافة متصلة بابرز الادباء والفنانين الى ان صارت مغنية بارعة واديبة اخاذة مع جمال مسبى للعقول .

وقد كانت تنظم ناديا فى بيتها يجتمع فيه ابرز من له صلة بالادب والفن والنكتة ليتنافسوا امامها ويحوز الفائز كلمتها المعسولة ويحظى بالابتسامة منها والرضى .

وكان ابن زيدون ذو الوزارتين هو شاعرها المفضل لسمو معانيه وموسيقية الفاظه ، فكان عطفها عليه سبب سعادته من جهة ومجلبة للحساد الذين نسجوا له خيوط شقائه من جهة اخرى .

ومن شعره الذى تغنت به :

ودع الصبر محب ودعك
ذائع من سره ما استودعك

وتقول فى ابن زيدون :

لاهل لنا من بعد هذا التفرق
سبيل فيشكو كل حب بما لقى

ولما سجن ابن زيدون وتغيرت عليه الايام قال فى ولادة قصيدته الرائعة التى مطلعها :

اضحى التنائى بديلا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وقد اطال الله فى عمر ولادة فكانت مثال التضحية فلم تتزوج رغم هلاك العاشقين من اجلها وفضلت الحياة بين شعر وغناء وعزف تستعيد به ذكريات الشباب وتحن الى من انسجمت روحها بروحه الشاعر ابن زيدون وكانت وفاتها بقصر والدها بقرطبة سنة 484 هـ 1091 م .

وقد الف المرحوم عبد الرزاق كرباكة فى تونس سنة 1945 رواية بعنوان ولادة وابن زيدون لجمعية الكوكب التمثيلى قدمت كمغناة .

من مشاهير علمـاء الموسقى

1 ـ الكنـــدى :

وهو فيلسوف العرب ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى ولد سنة 185 هـ 801 م واشتهر بالتبحـر فى الفلسفة والفلك والمنطـق والموسيقـى والرياضيات ـ التى مارسها من اليونانية والفارسية والهندية .

وقد توفى رحمه الله سنة 252 هـ 866 م بعد مـا نمى المكتبة العربيـة بالمؤلفات الآتية التى كان شارك فى تحقيق بعضها الاساتذة زكرياء يوسف ومحمود احمد الحفنى ومجدى العقيلى ويوسف شوقى ونشرت بين بغداد ودمشق والقاهرة :

1 ـ الرسالة الكبرى فى التاليف 2 ـ رسالة فى ترتيب النغم الدالة على طبائع الاشخاص العالية وتشابه التاليف ـ 3 ـ رسالة فى الايقاع ـ 4 ـ رسالة فى مدخل الى صناعة الموسيقى 5 ـ رسالة فى خبر صناعة التاليف 6 ـ رسالة فى صناعة الشعر ـ 7 ـ رسالة فى اخبار عن صناعة الموسيقى ـ 8 ـ كتاب ترتيب النغم ـ 9 ـ مختصر الموسيقى فى تاليف النغم وصنعة العود ـ 10 ـ ورسالة فى اجزاء خبرية فى الموسيقى .

2 ـ ابـن المنجـــم :

وهو ابو احمد يحيى بن على بن ابى منصور المولود فى سنة 241 هـ 855 م ـ كان اديبا شاعرا ، عالما بالكلام وموسيقيا ، ومن مؤلفاته :

1 ـ رسالة فى الموسيقى (او كتاب النغم) حققها وطبعها الاستاذ بهجت الاثرى والاستاذ زكريا يوسف سنة 1950 وسنة 1964 ببغداد .

وقد توفى رحمه الله سنة 300 هـ 912 م .

3 ـ الفـــارابى :

وهو ابو نصر محمد بن طرخان المولود بفاراب من بلاد ما وراء النهـر (اوزباكستان) سنة 257 هـ 870 م ثم انتقل الى بغداد واستقر بها وتلقى الفلسفة عن (ابى بشر متى بن يونس) ويوحنا بن خيلان ثم تبحر فى المنطق والاخلاق والسياسة والرياضيات والموسيقى والكيمياء وله فيها كتب عديدة ترجم اغلبها الى عدة لغات نذكر منها فى الموسيقى :

1 ـ الموسيقى الكبير الذى حققه الاستاذ غطاس ونشر بالقاهرة .
2 ـ احصاء الايقاع .
3 ـ كتاب فى النقرة .
4 ـ وكلام فى الموسيقى .

وكان زيادة على علمه ممارسا للموسيقى بالعزف على العود الذى بين لنا قواعده فى كتبه ودعاه سيف الدولة الى حلب التى كون بها مدرسة تخرج منها طلاب عديدون . وتوفى رحمه الله سنة 339 هـ 950 م .

4 ـ ابن سينـــا :

وهو ابو على الحسن بن عبد الله بن سينا المولود سنة 370 هـ 980 م فى مدينة (افشنة) بجوار بخارى بأوز باكستان ولما اكتمل شبابه عين طبيبا للنوح الثانى فى بخارى فتمكن بذلك من الاطلاع على مكتبته الغنية بالمؤلفات فى مختلف العلوم والفنون

ودخل ابن سينا فى خدمة شمس الدولة فى همدان الى ان صار وزيرا له ثم انتقل الى اصفهان وقضى بها آخر ايامه ..

وقد كان عالما بالفلسفة والكيمياء والرياضيات والطب والموسيقى وينسب اليه اختراع آلة القانون ومن كتبه فى الموسيقى :

1 ـ كتاب الشفاء (وقد اطلعت عليه مذيلا بخطه فى مكتبة السليمانية فى اسطنبول)
2 ـ كتاب النجاة وفيه فصل فى الموسيقى .
3 ـ دانش نامة الفه بالفارسية لعلاء الدولة اثناء اقامته باصبهان .
4 ـ رسالة فى تقاسيم الحكمة وبها فصل فى الموسيقى .

وتوفى رحمه الله سنة 428 هـ / 1037 م .

وهو ابو منصور الحسين بن محمد بن زيلة الاصفهانى من ابرز تلاميذ ابن سينا ، تمكن من العلوم والرياضيات حتى لقب (بالحكيم).

ونذكر من مؤلفاته «الكافى فى الموسيقى) الذى كان حققه وطبعه الاستاذ زكرياء يوسف سنة 1964 ـ وتوفى رحمه الله سنة 440 هـ 1048 م .

6 ـ صفى الدين الارمـــوى :

هو عبد المؤمن بن يوسف بن ناخر الارموى ولد سنة 613 هـ 1216 م فى بغداد أو آذربيجان حسب روايتين مختلفتين .

يعتبر صفى الدين من نبغاء عصره فى الادب والخط والتاريخ والموسيقى والغناء.

وكانت له تلميذة تدعى (لحاظ) اعتنى بها وكونها فى العزف والغناء ، حضرت يوما لدى المستعصم آخر الخلفاء العباسيين وادت له من الحان استاذها فاعجب بذلك واحضر الارموى لديه الذى اسمعه من عزفه على العود ومن غنائه ، فصار ملازما له الى يوم سقوط بغداد سنة 656 هـ 1258.

وبعد ذلك قدم صفى الدين (لهولاكو) الحاكم الجديد فاعجب به وقطع له بستانا من بساتين الخلينة المخلوع يعرف (بالسميكة) وعين له مرتبا أوفى من الذى كان يدفعه له الخيفة .

ومن كتبـــــه :

1 ـ كتاب الادوار ـ وند ترجم للتركية والفارسية والفرنسية واعتمدت عليه اغلب الكتب المؤلفة بعده ـ (اتصلت بنسخة مخطوطة منه من بـاكـو عاصمة اذربيجان) .

2 ـ الرسالة الشرقية ـ وقد الفها بعد سقوط بغداد لتلميذيه شرف الدين الجوينى واخيه بهاء الدين .

وتوفى رحمه الله سنة 693 هـ / 1294 م بعدما كون جمهرة من الطلاب.

7 ـ نصر الدين الطوسى :

هو ابو جعفر نصر الدين محمد بن محمد بـن حسـن (مـن معاصرى الارموى) ولد فى (جهرود) سنة 597 هـ 1201 م واقام فى (طوس) مدة طويلة حتى انتسب اليها ـ اشتغل فيها بشتى العلوم والفنون ـ وله عدة مؤلفات

بالفارسية والعربية فى الحكمة والهيئة والنجوم والرياضيات والطبيعيات والعلوم الدينية والادب والتاريخ والجغرافيا والتصوف والموسيقى انجز اغلبها فى السجن مدة المستعصم آخر خليفة عباسى الى ان اطلق سراحه (هولاكو) فصار ملازما له فخفف بذلك البلاء الذى نزل بمواطنيه .

وتمكن من بناء اهم مرصد ومن تكوين مكتبة ضمت اربعمائة الف مخطوط انتشلها من المنهوبات ـ وتوفى فى بغداد سنة 672 هـ 1273 م .

وقد نشر له الاستاذ زكرياء يوسف ما تبقى من رسالته فى علم الموسيقى سنة 1964 .

8 ـ عبد القادر المراغى :

هو ابو الفضائل كمال الدين عبد القادر المراغى المولود سنة 754 هـ 1353 م باذربيجان ـ نهج سبيل صفى الدين الارموى فى تفننه فى الخط العربى وفى الموسيقى والغناء ، وله فيها الحان ورتها الفنانون والفرق التركية فى العهد العثمانى .

ادرك العهد الجلائرى ونادم السلطان (اويس) وابنه احمد ـ ولما دخل تيمور لنك بغداد سنة 796 هـ 1394 م استدعاه من كربلاء فلبى طلبه .

وفى سنة 800 هـ 1398 م توجه المراغى الى سمرقند بناء على امر تمورلنك فاستقبله اميرها وصار من المقربين لديه الى ان توفى سنة 838 هـ 1434 م بعدما اثرى المكتبة الموسيقية العربية بمجموعة من الكتب نذكر منها .

1) جامع الالحان ـ المؤلف بالفارسية

2) كتاب الموسيقى

3) زبدة الادوار

4) شرح لكتاب الادوار للارموى

5) كنز الالحان فى علم الادوار

ومن احفاده عبد العزيز المراغى الذى كان موسيقيا بارعا وله رسالة (نقاوة الادوار) فى الموسيقى كتبها للسلطان العثمانى (سليمان القانونى) سنة 926 ـ 974 هـ / 1520 ـ 1566 م .)

9 ـ وتذكر ايضا الشيخ احمد بن عبد الرحمن الموصلى المعروف بالمسلم الموصلى المتوفى سنة 1150 هـ 1737 م الذى الف عدة كتب فى الموسيقى وقفنا على الذى عنوانه : (الدر النفى فى علم الموسيقى) ويشتمل على بحث يرجع فيه اصل الموسيقى العربية الى سبعة مقامات ويدعى نسبة كل منها الى احد الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالآتى : فالراست لسيدنا آدم ـ والعشاق لسيدنا موسى ـ والعراق لسيدنا يوسف ـ وما وراء النهر لسيدنا يونس ـ والحسين لسيدنا داود ـ والحجاز لسيدنا ابراهيم والنوى لسيدنا اسماعيل ..؟

الحركة الموسيقية المعاصرة

الموسيقى فى افريقيا

ان الموسيقى العربية امتزجت بالافريقية سواء داخل الوطن العربى فى الجزيرة العربية او فى شمال افريقيا كما اسلفنا او داخل الاقطار العربية التى توجدت متاخمة للصحراء الافريقية او جنوبها وقد تسرب هذا الامتزاج فى الكثير من الاقطار الافريقية الاخرى وخاصة منهـا التى اعتنقت الديـن الاسلامى الحنيف بنسبة طيبة من السكان . مثل السنغال التى نجد فى تراثها مقامات الراست والسيكاه والبيانى العربية الاصيلة .

ونجد فى موريتانيا تعايشا وامتزاجا بين السلم العربى ويسمى غناء (الاكحال) والسلم الزنجى الخماسى ويسمى غناء (البياض) . مع مقدرة فائقة على الارتجال الغنائى والعزف على انواع من الآلات تؤدى كل المدرجات الموسيقية العربية .

وقد شاركت موريتانيا فى مهرجان ام كلثوم الذى انتظم بتونس تحت اشراف المجمع العربى للموسيقى من 21 الى 28 نوفمبر 1976 بفتاتين هما (ابتى بنت شويخ) و (ديمى بنت آب) وقد كان لكل منهما صوت ممتاز فى اتساعه وفى رقة نبراته التـى تؤدى الموسيقى العربية بغاية الاتقان . كما شاركت فى الملتقيات الدولية بالفنان الشاب (سيملى) الذى يتقن العزف والغناء .

اما السودان فشانه شان موريتانيـا فى امتـزاج الحضارتيـن العربية والزنجية ويلاحظ ذلك سواء فى الغناء المعروف (بالجرداقى) المنتشر غربى السودان لدى قبائل (ام كيكى) و فى (الدوبيت) الذى اشتهر من شعرائه فى القرن الماضى (حارولو) او فى ما عرف لدى قبائل (كردفان) و (دار فور) فى الغناء المعروف (البرمكى) . وبحكم الاتصال المباشر بين مصر والسودان دخلت آلة العود لهذا البلد واصبحت آلة المغنى والملحن شانها فى ذلك شان بقية الاقطار العربية .

ومن ابرز الفنانين السودانيين الذين تعرفت عليهم المغنى اللطيف الاستاذ عبد الكريم الكابلى المولود سنة 1932 والفنان اسماعيل عبد المعين الذى له راى خاص فى اهمية السلم الخماسى الذى اعتقد ضرورة المحافظة عليه حيث اصبح جزا هاما من الموسيقى العربية . كما اذكر الفنان الاستاذ الماحى اسماعيل الذى كان له نشاط محمود فى اعمال المجلس الدولى للموسيقى . ونرجو ان تتاح لنا الفرصة للتعرف على موسيقى الاقطار العربية الاخرى فى افريقيا كالصومال وجزر القمور ، وغيرهما .

الموسيقى والغناء فى تونس

... وفى تونس كان ابرز حدث فنى فى القرن الثامن عشر عناية الملك محمد الرشيد باى (1122 ـ 1173 هـ 1710 ـ 1759 م) ثالث ملوك العائلة الحسينية بالموسيقى والغناء الذين اتى بهما اللاجؤون الاندلسيون حيث كان اديبا وفنانا ميالا الى الانس والطرب .

وهو الذى يرجع اليه ترتيب النوبة التونسية على الطريقة المستعملة حتى الآن (1) وفى عهده الفت القطع الموسيقية التى جعلت كفواصل بين اجزاء النوبة وكذلك اغلب المصدرات والتوشيات .

وهو الذى عمل على تطعيم الموسيقى التونسية بالموسيقى التركية من حيث مقاماتها وايقاعاتها وحتى بعض تراكيبها مثل البشارف (2) التى الفت فى مقامات وفى اسلوب تونسيين رغم كون الشكل تركيا .

وقد اعتنى قبله مراد باى المتوفى سنة 1086 هـ 1675 م وابنه محمد المتوفى سنة 1108 هـ 1696 م بالفن واهله ومارسه الامير رمضان باى المتوفى سنة 1110 هـ 1698 م عزفا على مختلف الآلات وقد جلبت له امه آلة «ارمنيوم» من أروبا جبرا لخاطره حيث كان فاقد البصر وكان يرافقه مغنيان «مزهود» ومحمد بن عبد النبى .

وفى أواخر ذلك القرن ظهر مغن بارع تفنن فى آداء التراث وفى ارتجال غناء القصائد يدعى رمضان كان من ندماء الملك حسين

(1) انظر السفر الثالث من التراث الموسيقى التونسى .
(2) انظر السفر الاول من التراث الموسيقى التونسى .

باى وكان يرافقه عازف الرباب «اسحيق اليهودى» وفيه يقول الشاعر على الغراب الصفاقسى :

رمضان حجة أهل تونس فى الغنا
فاذا شدا مادت به الجدران
فاذا اتى ولديك اسحاق وقد
غنى باصوات لها الحان
وجب الصيام عن الغنء وانما
يجب الصيام اذا اتى رمضان

ومن ايام محمد الرشيد تولدت عادة عند الملوك يتنافسون فيها مع ولى العهد هى ان يجعل كل منهما مدرسة موسيقية فى قصره ينفقد اعمالها اثناء حفل اسبوعى يقام مساء كل يوم ثلاثاء وقد استمرت هذه السنة الى احمد باى الثانى (1348 ـ 1361 هـ 1929 ـ 1942 م) وقد تخرج من هذه المدارس عدد كبير من عناصر العزف والطرب ادركنا منهم المطربة «عروسيه بروطه» من مدرسة محمد الهادى باى المتوفى سنة 1324 هـ ـ 1906 م لا تزال بقيد الحياة وعازف البيانو والقانوز «محمد القادرى» من مدرسة الناصر باى المتوفى سنة 1341 هـ 1922 م وعازف الرباب «البار ابوطبول» من مدرسة محمد الحبيب باى (المتوفى سنة 1348 هـ ـ 1929 م) .

وتوجدت فى تونس وبقية البلاد العربية مدارس اخرى لتلقين الغناء هى حلق الطرق الصوفية ومن ابرزها طرق القادرية والعيساوية والعزوزيه بمناسبة حفلاتها الاسبوعية التى تقام بالاضرحة المتناثرة فى جميع القرى وفى اغلب احياء المدن وقد لعبت هذه الطرق دورا كبيرا فى احيا، التراث الغنائى التونسى .

ويحكى لنا الشيوخ انه كانت توجد دكاكين خاصة بالغنا، فى حى الكتبية بالعاصمة ويشترى منها الهواة الكنانش المخطوطة مع امكانية تعلم ما فيها من موشحات وقصائد يلقنه ياها الكتبى فى حصص معينة بمقابل .

واشتهر ما بين القرنين الماضى والحالى ثلة من الفنانين حافظوا على التراث وساهموا فى تنميته بانتاجهم الاصيل ومن اشهرهم :

1 ـ الشيخ محمد بن لحسين الضرير الذى كانت له معرفة ممتازة بالتراث الغنائى (المالوف) وبنطع الطريقة السلامية من بحور وشطحات

وسلسلات ، وكان ابرز شيخ لاعمال هذه الطريقة وله باع طويل فى ارتجال غناء القصائد وكان من الفنانين المنتسبين لولى العهد محمد الحبيب باى ، وتخرج عليه المطرب عزوز السمار والنغرزان الصادق الفرجانى الذى يرجع اليه الفضل الكبير فيما دونه المعهد الرشيدى فى الاربعينات من القرن الحالى .

وخلدت لنا هذه الفترة شيخا بارزا فى ارتجال غناء القصائد مع مشاركة ممتازة فى الغناء المسرحى هو المرحوم الشيخ سلامه الدوفانى رئيس المنشدين بالطريقة الشاذلية وكان فى رعاية الملك محمد الناصر باى المتوفى سنة (1341 هـ ـ 1922 م) واشتهر ايضا من المنشدين الشيخ الصادق بن عرفه الذى لاحظنا مدى رسوخه فى التصرف فى المقامات من خلال تساحيله وكذلك الشيخ محمد المغيربى الذى اشتهر بالعزف على العود مع محمد بن عبد السلام ولالو بالشيشى وعازفو الكمانجة خيلو الصغير ، والهادى قمم ، واحمد دربال شهر بطبخ الذى له باع فى العزف على الرباب وكذلك الرباب الشيخ محمد غانم الذى كان ترأس الفرقة الموسيقية التى شاركت فى المؤتمر الاول للموسيقى العربية بالقاهرة سنة 1932 م وعازف الكلارينات عزيزى عبد الرزاق الذى طبق المقامات العربية على هذه الآلة الغربية مع قدرة فائقة فى تصوير المقامات على مختلف الدرجات وانصافها وارباعها وعرف ايضا ناقر الطار الشيخ احمد الطويلى الذى كان يجيد الانشاد على مختلف المقامات ويحفظ جانبا وافرا من المالوف وتخرج عليه فى ذلك شيخ الفنانين خميس الترنان مع قدرة فائقة فى تجويد القرآن الكريم ورغم فقدان بصره فقد قام بجولات الى طرابلس ومنها الى اسطنبول .

ومما يذكر فى القرن الماضى ما قامت به المدرسة العسكرية التى اسسها المشير احمد باشا الاول المتوفى سنة (1272 هـ ـ 1855 م) من خدمات للموسيقى حيث قامت بتدوين جانب هام من التراث الموسيقى والغنائى وضبطت قواعد عزف عدد من الآلات وحددت قواعد المقامات المتداولة وذلك بواسطة الترقيم الموسيقى فى مخطوط محفوظ بالمعهد الرشيدى . وتاسست فى هذه المدرسة اول فرقة عسكرية للموسيقى النحاسية انبثقت عنها جمعيات اهلية من ابرزها «الحسينية» «والهلال» «والناصرية والاسلامية» ثم تسرب تاسيس امثالها بداخل البلاد كالعصرية بصفاقس والساحلية بسوسة الى ان اصبح يوجد مثل هذه الفرق باغلب المدن والقرى ومن ابرز المؤسسين لهذه الفرق ورادها السادة : احمد البجاوى ـ محمد بن احمد ـ احمد دوتاز والطاهر بن فزالة وحسين التاجورى وعزوز وحسونة الشافعى والهادى الشنوفى والشاذلى مفتاح .

وفي طالع القرن توجدت مجموعة من الحفاظ للتراث الغنائي «المالوف» امتاز منهم المرحوم احمد الوافي الذي اثرى التراث الموسيقى التونسي بانتاج غزير (1) ـ فقد ولد الشيخ احمد الوافي بتونس العاصمة سنة 1266 هـ ـ 1850 م من عائلة اندلسية وكان اول اتصاله بالفن الموسيقى عن طريق والده الشيخ حميدة الذي كان من ابرز منشدي المدائح النبوية وخاصة بردة البوصيري التي لها الحان خاصة بتونس امتازت بها القادرية ويقال لها (البردة بالصنائع) ثم تعلم المالوف والموسيقى على مجموعة من الفنانين في مقدمتهم الرباب «بريهم تبسي» «وساقسلي» رئيس فرقة موسيقى الجيش الى ان اصبح من ابرز رواة المالوف وعازفا بارعا على «الفحل» فجلبه البارون ديرلانجي (2) كمرجع لتاليفه في المسيقى العربية .

ساعد اتساع دائرة محفوظات احمد الوافي من المالوف اولا ثم الموشحات والادوار الشرقية التي وصلت تونس سواء بواسطة الفرق مثل فرقة «طائر» او التساجيل مثل التي «لعبده الحمولي» او للشيخ يوسف المنيلاوي و «عبد الحي حلمي» وغيرهم على توفر امكانية الارتجال او الانتاج الفني عنده :

وحكى بعض تلاميذه المقربين امثال المرحوم علي بانواس ومحمد الدرويش انه كلما اجريت مباراة بينه وبين زملائه الا بزهم وذلك باخذ كلمات بعض «البطايحية» (3) المعروفة ويرتجل عليها لحنا جديدا لم يسمعه احد من قبل وينسب نقلها الى احد الشيوخ المتوفين .

اما انتاجه فقد امتاز بطابع خاص امكننا تمييزه من بين التراث الموسيقي وذلك بالعناصر الآتية : ابراز مقام الشاهناز الشرقي الذي تبرز فيه الروح التركية وقد اعطاه اسم «انقلاب الاصبعين» وذلك في البطايحي «هجرتني يا اخي» وموشح «يال قومي ضبعوني» (4) ثم الى ادخال مقام النوى في طوالع قطع الشاهناز او الاصبعين مثل طالع المثالين السابقين وطالع موشح «بدري بدا في حلل» (4) .

هذا وقد طبق الشيخ الوافي طريقة التصرف المعروفة في الادوار المصرية وهي تتمثل في ترديد المجموعة الصوتية لكلمة من القطعة او لمجرد كلمة «آه»

(1) انظر بحث انتاجه مطولا في السفر الخامس من التراث الموسيقي التونسي نشر اللجنة الوطنية التونسية للموسيقى .
(2) صاحب كتاب الموسيقى العربية عاش في سيدي ابي سعيد بتونس توفي بها سنة 1932 .
(3) جمع بطايحي وهو احد موشحات او ازجال النوبة الملحنة على وزن البطايحي (البطي).
(4) انظر النشرية الثانية للتراث الموسيقي التونسي .

على لحن مخصوص ويقوم المغني باعادة الكلمة او الآه بين هذا الترديد على لحن جديد يعتمد التصرف والتنويع في اللحن وقد قدم لنا من هذا النوع مثالا في مقام الاصبعين لم يترك فيه عادته في ادخال جمل من مقام النوى كما قدمنا وقد كانت هذه القطعة رغم بساطة كلماتها من ابرز الالحان الكلاسيكية وهي موشح «قاضي العشق» .

وادخل الوافي ايضا هذا النوع من التجديد على قطع النوبة ومن ابرز انتاجه في ذلك «خفيف (1) المزموم» الى حبيبي نترك اوطاني «وقد ابرز لنا الوافي شجاعة كبرى في تناوله مقام المزموم لان اغلب اترابه كانوا يتشاءمون من غنائه فضلا عن التلحين عليه .

وتناول ايضا مقاما لم يقع تناوله قبل الوافي الا في الارتجال ى الاستخبارات (2) او القصائد او في الاغنيتين الشعبيتين «ازداد النبي وفرحنا به» وقابله يا سوسيه (3) وهو مقام الحسين صبا فقد قدم لنا فيه موشحا اخذ كلماته من سفينة الملك للشهاب التي تتناول التراث الشرقي وطبعت في اواخر القرن الماضي وعنوانه «يا لسمر يا سكر» (4) .

وللمرحوم الوافي تجديد آخر تناول به الايقاع فقد لحن على وزن كاد ينفرد به وهو المربع التونسي (4) الذي يشبه المصمودي الشرقي الى حد كبير ، موشح «قاضي العشق» (3) السابق ذكره ولحن على وزن النوخت (4) عدة موشحات منها «يال قوم ضيعوني» وعلى ميزان السماعي ومنه موشحه بدري بدا (4) الذي بداه من الزمن الرابع مجاريا في ذلك الموشح الشرقي «ملا الكاسات وسقاني» لمحمد عثمان الذي بدا من الزمن الثالث للايقاع .

ان فضل احمد الوافي على الانتاج الموسيقي واسع جدا . لقد كان ابرز الملحنين الذين تفتحوا للشرق سواء كان عربيا مثل الموسيقي المصرية والسورية او غيره مثل التركية مع المحافظة على الطابع التونسي الاصيل . وله فضل آخر اذ احدث مدرسة فنية اخرجت اغلب الشيوخ الذين اوصلوا لنا الموسيقى القومية سواء منها القديمة او التي انتجت في عصر استاذهم

(1) اسم وزن ، انظر النشرية الثالثة والخامسة للتراث الموسيقي التونسي .
(2) ارتجال العزف .
(3) انظر النشرية الخامسة للتراث الموسيقي التونسي .
(4) انظر النشرية الثانية للتراث الموسيقي التونسي .

احمد الوافى . ومنهم المرحومين على باتواس ـ محمد الدرويش ـ الطاهر المهيرى .

وتوفى احمد الوافى سنة 1340 هـ 1921 م بعد ان خلد مكانته فى تاريخ الموسيقى العربية بانتاجه مثل زميليه الملا عثمان الموصلى بالعراق ، والسيد درويش بمصر وترك تراثا تتداوله الاجيال وتتغذى به الارواح.

وتوجد بعده عدد هام من المطربين والعازفين والملحنين (1) امتاز منهم المرحوم خميس ترنان الذى يرجع اليه الفضل الكبير فيما دونه المعهد الرشيدى فى الاربعينات من القرن الحالى

وولد الشيخ خميس الترنان بمدينة بنزرت سنة 1312 هـ 1894 وبعد ان درس القرآن الكريم دخل المدرسة الابتدائية وتتلمذ على الاستاذ عبد الرحمان قيقه الذى يقول عنه انه اشتهر بالعزف على «الشبابه» اثناء الراحة بين الدروس ، ثم شارك فى المجموعات الصوتية للمدائح (المولديه والقادريه والسلاميه) .

وانتقل الى العاصمة سنة 1917 واقام بها بعض الحفلات . وقد كانت شهرته فى الوسط الفنى سببا انقاذ الملك الناصر باى له من الخدمة العسكرية فى الجيش الفرنسى .

ومكث الشيخ الترنان بعد ذلك فى العاصمة لينمى حفظه للمالوف عن الشيخ احمد الطويلى ويتدرب على العزف على العود التونسى ويصبح مزاحما للعوادين المشهورين آنذاك مثل محمد المغيربى ولالو بالششى ومحمد بن عبد السلام وصارت له فرقة خاصة تقيم الحفلات الخاصة والعامة واشتهرت بحفلاتها الاسبوعية بمقهى المرابط باسواق مدينة تونس التى يؤمها الادباء والفنانون .

سافر المرحوم عدة مرات الى المانيا مع ثلة من الفنانين منهم محمد العقربى ومحمد التريكى ومحمد القادرى وحبيبه مسيكه حيث سجل عدة اسطوانات للمالوف والتقاسيم والاغانى التونسية كما سافر الى القاهرة سنة 1932 ليشارك ضمن الوفد التونسى فى المؤتمر الاول للموسيقى العربية .

(1) انظر بحث الدكتور فرزه الموسيقى التونسية خلال قرن مضى، بالسفر السادس من التراث الموسيقى التونسى .

وكان الشيخ الترنان اول من حضر دروس الشيخ على الدرويش الذى جلبه البارون ديرلانجر من الشام فتعلم عنه الترقيم وركز معه المقامات والموشحات الشرقية مما سهل له سبل التلحين .

وفى سنة 1934 كان من ابرز مؤسسى الجمعية الرشيدية(1) وعين بها معلما للغناء وملقنا للمالوف وساهم بها فى انماء التراث الموسيقى العربى فالف بشرفا فى مقام النوى ووزن الشنبر 24/4 ولحن نوبة الخضراء فى مقام النهاوند ومجموعة من الموشحات «كطاف بالصهباء بدرى» لاحمد خير الدين و «من رنة العيدان» للطاهر القصار والقصائد «كيا زهرة غضت وضاع أريجها» لمحمد السعيد الخلصى ومجموعة كبيرة من الاغانى كانت جلها معتبر شواهد على اصالة المقامات العربية .

فالشيخ خميس ترنان يعتبر المثال الاول لاثبات الروح التونسية فى الوسط الفنى وبين الشبان ويرجع اليه اكبر نصيب فيما سجل من المالوف سواء عن طريق الكتابة او بواسطة اذاعات الرشيدية وفرقة الاذاعة . وفى المجموعة التى سجلتها الرشيدية لاذاعة باريس والتى تعتبر من التراث ويلاحظ ايضا مساهمته فى اعداد مناهج تعليم الموسيقى العربية فى المعاهد التونسية بعد الاستقلال وتوفى رحمه الله سنة 1384 ـ 1964 م بعدما ساهم فى تخليد الموسيقى العربية . وتنضم الحكومة التونسية مهرجانا باسمه كل سنتين بمسقط رأسه مدينة بنزرت يشارك فيه الباحثون من مختلف البلاد العربية ومن المنظمات الدولية حول موضوع هام يتعلق بالموسيقى العربية .

كما خلد اسمه عنوانا لنواد موسيقية وشوارع ممتازة بكل من تونس العاصمة ومدينة بنزرت .

(1) اعطيت هذا الاسم تخليدا لذكر محمد الرشيد باى ثالث ملوك الدولة الحسينية المتوفى سنة 1173 هـ 1759 م .

الموسيقى والغناء فى الجزائر

يذكر شيوخ الفن بالجزائر واخص منهم عميدهم الاستاذ محى الدين باش تارزى ان أهل الفن سعروا بخطر ضياع فنهم خلال القرن السابع عشر وذلك بتخلى خيرة الشعب عن ممارسة هذه الصناعة وتركها بين ايدى العوام الذين تغلب عليهم الامية ، واكثرهم من غير المسلمين . ندعا المفتى الحنفى اشهر المجودين وعرض عليهم المشكل وبعد نقاش طويل اقترح ثلة منهم ادخال كلمات القصائد المؤلفة فى مدح الرسول عليه السلام على الحان من الغناء الاندلسى المشهور آنذاك او تلحينها على غرار ما قام به الملحن التركى محمد العترى فى أول ذلك القرن ، الذى يرجع اليه تلحين غناء الخوجات «الله اكبر الله اكبر ، ولله الحمد» (المعروفة حتى الآن فى اغلب البلدان الاسلامية) او على غرار القطعة الوحيدة التى تنشد فى رمضان قبل صلاة التراويح «سبحان الله وبحمده ـ سبحان الله العظيم» على لحن قطعة من الغناء الاندلسى «خدمنى سعدى بالانس والعيش الخصيب» وانشد بعضهم هذه القطعة وتم الاتفاق على تطبيق هذا الاجراء للمحافظة على التراث الفنى . وفعلا فى رمضان السنة الموالية قام اغلب المجودين بغناء قطع عديدة من التراث على كلمات «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» واقبل الناس احسن اقبال على هذه التجربة فى المساجد الحنفية بمدن الجزائر والبليدة والمدية وملبانة وتزعم هذه الحركة الفنية عدد من المفتيين الحنفية المشائخ السادة ابن عمار ، وابن على ، وابن الشاهد ، والقلاتى .

وامام هذا النجاح تواصلت التجربة وطبقت الحان التراث على قصة مولد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعلى قصائد المدح للشيخ البوصيرى ، وابن عربى ، وابى مدين ، وعبد الرحمن الثعالبى ، وقصائد اخرى انتجها السادة المفتيون ، وعمت هذه التجربة ارجاء البلاد واقبل عليها حتى المتزمتون .

وقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس المصلح الجزائرى كثيرا ما يحضر حفلات فرقة قسنطينة للمداحين ، ويستصحبها فى تنقلها الى العاصمة بمناسبة المولد النبوى الشريف خلال العشرينات من هذا القرن .

وكان ابرز مغنى القرن الماضى على قلتهم ، المرحوم محمد سفنجة المتوفى سنة 1326هـ 1908م والذى كان من ابرز العازفين على آلة الكويتر (1) ، ومن اتقن الحفاظ للغناء الاندلسى الاصيل ، وقد كانت فرقته متركبة من المعلم «موزينو» عازفا على الرباب والكمانجه بالتناوب ، والمعلم «لاهوسرور» عازفا على الكويترا و «شاوم» عازفا على «المندولين» والشيخ الشريف ناقرا بالطار وكان الشيخ سفنجة كثيرا ما يشارك فى حفلات المدائح والاذكار مع ابنه «سعدى» ، وقد كان للمفتى الحنفى فضيلة الشيخ محمد بوقندوره ولوع خاص بهذا المطرب الممتاز.

وكان سفنجة هاويا للموسيقى حيث كان له شغل آخر هو «صناعة الاحذية» ولكنه ارتبط بهوايته وبمحبيه العارفين لفنه ، فيقيم حفلات دورية فى اشهر مقاهى الجزائر مثل مقهى بوشعشوه ، وقهوة العرايش وقهوة البوز ومن ابرز ما قام به سفنجة اشتراكه مع تلميذه «يا فيل ولد معلوف والباحث الفرنسى «روانى» فى ترقيم مجموعة 76 قطعة من التراث الاندلسى بين سنة 1899و1902 بين توشيات ونوبات وانقلابات، قامت بنشرها اشهر دار لنشر الموسيقى بباريس «لودوك» ونشر روانى سنة 1903 موسوعته للموسيقى العربية ، بعدما قام برحلة الى المغرب وتونس والقاهرة ودمشق .

وبعد وفاة سفنجه استمر «يافيل» فى جمعه للتراث عن «موزينو» و«سعدى» الى ان وصل الى خمسمائة قطعة سجلها تحيلا باسمه فى جمعية المؤلفين واللحنين ، ونشر كتابا بالعربية جمع فيه كل ما دونه عن فنانى عصره ، بقى المرجع الوحيد بالجزائر الى ما بعد الاستقلال ، وكان جميع هؤلاء الفنانين يتتلمذون على الشيخ المرحوم «مرمش» الذى توفى سنة 1322 1904 م عن سن 71 عاما ، فقد حفظوا عليه ويرجعون اليه فى تصليح محفوظاتهم الى السنة الاخيرة من حياته .

وعرف اول القرن بالجزائر عددا من المطربات يعرفن «المسمعات» او «المداحات» يشاركن فى الحفلات النسائية ، ويؤدين جانبا قليلا من الغناء الاندلسى مع العروبيات والحواژه (جمع حوزى) والزندانى والمدح ، ومن

نوع من العود الاندلسى .

الموسيقى والغناء فى الجزيرة العربية

ان المدرسة الفنية بالجزيرة العربية تمتاز بمحافظتها على القالب الغنائ
الاصيل الذى عرف فى المدينة المنورة من عهد الخلفاء الراشدين ومنه انطلقت
المدارس العربية الاخرى التى اثرت فى كل بلد اعتنق الاسلام دينا .

وهذه المدرسة تعم كل الجزيرة ، بما فيها اليمن وجميع سلطنات
وامارات الخليج وتدخل حتى البصرة بالعراق وهى ترتكز على الصوت الذى
يتمثل فى الارتجال الغنائى على قالب مضبوط وايقاع محدد ولا يتناول سوى
المقامات العريقة التى تعتمد اصلا على السلالم الموسيقية التى تشتمل على
التجزئات الصوتية الصغيرة امثال مقامات الراست ، والبياتى ، والسيكا .

وقد عرف هذا القرن عددا من الفنانين الذين حافظوا على التراث وبثوه
فى الجيل الحاضر نذكر منهم من السعودية المغنى الشهير الاستاذ المرحوم
(حسن جاوه) فهو من مواليد العشرة الاخيرة من القرن التاسع عشر تربى
على الالحان القديمة مع حفظ واسع للاشعار العربية من مختلف العصور
والمواضيع وقدرة فائقة على الارتجال الغنائى وتجول فى البلاد العربية وبث
فيها من فنه ، وتعرفت على حسن ادائه واتقانه للعود بمناسبة مقامه بتونس
سنة 1933 . ويذكرنا بحلاوة صوته وجميل ادائه واتقان عزفه على العود
بمغنى المدينة فى العصر الاسلامى الاول ، وقد توفى سنة 1964 .

والشخصية الثانية التى تعرفنا عليها فى نفس تلك الفترة المرحوم
الشيخ ابراهيم السمان من اصل حلبى ومواليد سنة 1894 اقام بالمدينة
المنورة واستقى من حياض فنها مع حفظ جيد للشعر العربى وللموشحات
والادوار من مدارس مصر والشام ، وبمتاز بصوت لم نتعرف على اتساع
دائرته فى جيلنا الحاضر ، ينزل للقرار الى ابعد حد ويصعد الجواب

اشهرهن خيره جابونى . وخيره شوشانه ، البارعتان فى عزف الكويترا .
وحليمه البغرى ، وحنيفه بن عماره ، وعائشه الخلديه ، ومن ابرز هؤلاء
المغنيات يمينه بنت الحاج المهدى ، التى رعاها «البريهمات» مدير آخر
مدرسة ادركت عهد ما قبل الاحتلال الفرنسى ، فتعلمت الادب العربى ثم
العزف على الكويترا والكمانجه وبعد وفاة سيدها خرجت للاحتراف الفنى ،
ونالت شهرة كبيرة وصلت حتى تونس والمغرب ، وقد سجلت بين سنتى
1905 و 1928 حوالى 500 اسطوانة ، وتوفيت سنة 1933 .

وتوجدت بين القرنين الماضى والحالى مجموعة من مغنى المدح الذين
نرافقهم آلة الزرنه ، وغناؤهم يعرف بالشعبى ، فمن ابرزهم ، الشيخ محمد
بن اسماعيل المولود سنة 1236 هـ ـ 1820 م الذى يغنى الشعر الملحون المنتج
بمناسبة الاحداث كحرب 'لقرم سنة 1273 هـ ـ 1856 م وابنا على وقويدر
اللذان خلدا انتاجه ، وقد كانا يشتغلان فى الغوص بمرسى الجزائر الى سنة
1912 وقد توفى قويدر سنة 1341 هـ ـ 1922 م عن سن 82 عاما ومنهم ايضا
الشيخ مصطفى الدرويش ومحمد السعفى ، وابن سلام ، والمقايسى (وقد
كانت احدى حفيداته شيخا تيجانية بتونس) والشيخ مصطفى الناظر ، الذى
تخرج عليه المغنى الشعبى المشهور الشيخ محمد العنقاء وتيتش والد الفنان
بوعلام تيتش الذى حافظ على هذا التراث الى الآن .

ومن الفنانين الذين ادركناهم ، او الموجودين الذين يرجع اليهم الفضل
فى الحفاظ على التراث الجزائرى ، الاستاذ محى الدين باش تارزى الذى
له مشاركة فى المسرح واغناء مع مجموعة من المطربين العازفين ، امثال
دحمان بن عاشور ، وعبد الكريم دالى ، ومحمد الفخارجى ، كما برز فى مدينة
تلمسان عازف الكويترا الشيخ عمر البختى ، وعازف الرباب الشيخ العربى
ابن صارى ، الذى ترأس الفرقة الموسيقية التى ساهمت فى المؤتمر الاول
للموسيقى العربية ، وابنه رضوان بن صارى الذى شارك فى هذه الفرقة ،
ومن قسنطينة الشيخ بسطانجى ، والحاج حسونه خوجه المتوفى سنة (1388هـ
1968 م) الذى شارك فى الملتقيات الفنية التى اقيمت بالجزائر وبتونس ،
وانجب ثلة من الفنانين من ابرزهم الحاج الطاهر الفرقانى .

يجعلك تخاله صوت فتاة لا يشبهه سوى صوت ابراهيم بن المهدى حسبما وصفه كتاب الاغانى .

تجول المرحوم فى البلاد لعربية وقدم فيها حفلات فنية وشارك فى الحلق الصوفية متميزا باداء القصة المولدية وختم حياته مؤذنا فى الحرم النبوى سنة 1963 .

ومن المشاهير القدامى ضابط الايقاع عرفة صالح باعرفة المولود بحضر موت سنة 1865 والذى يبث الايقاع العربى الاصيل فى عدة اجيال بفضل تقدمه فى السن .

ويمتاز غناء امارات الخليج بامتزاجه بنسبة بسيطة من الغناء الهندى ونلاحظ ذلك حتى الآن من الاصوات التى يؤديها عبد الله فضالة ومحمد الكورشى والمغنى ذى الصوت الرخيم (عوض دوخى) وشادى الخليج كما نلاحظ استمرار ذلك فى الحن احمد باقر وعثمان السيد وغيرهما بالكويت ونلاحظ ايضا استمرار حياة التراث الفنى فى قطر مثل التى لغانم الرميحى المختصة بالعرضات ولمبارك سعيد السلطة المختصة بالاغانى التى كانت ترافق الغواصين فى البحر لاقتناء للؤلؤ ومن مغنى قطر المشهورين : سعيد بن سالم المولود سنة 1914 وسالم فرج المولود سنة 1909 .

واشتهر من فنانى البحرين ببث التراث خيرى بودريس رمحمد الفارسى ويوجد بالامارات تاثير موسيقى افريقى ربما جاء من الصومال ومن الحبشة عن طريق اليمن او من زنجبار التى كانت تحت سلطة امراء بنى سعيد العمانيين ولا تزال فرق زنجية تمارس الفن الزنجى ذى السلم الموسيقى الخماسى سواء بدولة الامارات المتحدة او عمان وتصعد مع الساحل الى البصرة وقد شاهدت منها الكثير فى تلكم البلدان الشقيقة وقد تداخل هذا السلم فى الاصوات القديمة فى المنطقة على نحو ما جرى فى المغرب العربى والاندلس ونلاحظه حتى الآن فى الموسيقى التقليدية .

ويشتمل اليمن على هذه المدرسة الفنية وتلاحظ من خلال الاغانى القديمة ويؤكد المستشرق الالمانى صديقنا ماريوس شنيدر الوحدة الفنية ابتداء من الجزيرة العربية عن طريق اليمن الى النوبة التى تربط بين مصر والسودان حتى تصل (موريتانيا) ووضع لذلك خريطة جغرافية ربما يحسن الصعود بها الى جنوب اسبانيا .

الموسيقى والغناء فى سوريا ولبنان

لقد بثت حركة فنية مباركة بين القرن الماضى والربع الاول من القرن الحالى فى هذين البلدين الذين كنا نعتبرهما بلدا واحدا اشعت على المشرق العربى ووصل تاثيرها الى ليبيا وتونس بواسطة فرقة غنائية صغيرة كانت زارت هذين القطرين فى اواخر القرن الماضى وبثت فيهما القدود الحلبية والاغانى الشامية التى بقيت حية متداولة الى الآن .

وقد قامت هذه النهضة على كواهل جملة من جهابذة الفن سواء فى ميدان البحث او الانتاج او التدريس نذكر منهم :

1 ـ الدكتور ميخائيل مشاقة (1214 ـ 1306 هـ ـ 1799 ـ 1888 م) ولد فى قرية رشميا فى جبل لبنان وانتقل الى دمياط بمصر حيث تعلم الرياضيات والفلك والموسيقى والطب ثم رجع الى بلده واشتغل به طبيبا ـ له عدة مؤلفات من اشهرها الرسالة الشهابية فى الصناعة الموسيقية التى قدم بها نظريته الجريئة المتعلقة بتقسيم البعد الموسيقى الى ارباع وتبعه فيها عدد من الفنانين منهم كامل الخلعى فى كتابه الموسيقى الشرقى .

وقد وصفه جرجى زيدان حينما زاره فى دمشق سنة 1883 بقول : شاهدت عالما ذا هيبة ووقار يجلله الشيب ويلبس العمامة والجبة ويتعصب لهذا الزى ولا يرضى عنه بديلا .

2 ـ احمد عقيل (1228 1331 هـ ـ 1813 ـ 1913 م) كان يرافق والده الى حفلات التكايا الصوفية بحلب التى كانت تعتبر مدارس فنية انذاك حيث تعلم الموشحات والقدود ورقص السماح حتى تكون وامتهن الغناء ولتلحين ومزجهما بالفن التركى الى ان صار من ابرز المغنين ومنشدى المولوية . وكون

لنفسه مدرسة اخرجت عددا طيبا من الرواد مثل : احمد الشعار ـ ومصطفى بوشنك ومصطفى العظم وعمر البطش .

3 ـ الشيخ احمد ابو خليل القبانى (1275 ـ 1321 هـ ـ 1858 ـ 1903 م) ولد بدمشق فى بيئة دينية وحضر فى صباه حلقات التكايا الصوفية الى ان تعلم الموشحات والقدود وصار من اشهر فنانى عصره واعلمهم مما اثار حسد ارباب الصناعة وحاكوا له المكائد ولكن ذلك لم يزده الا تشبثا بفنه وتمكنا منه.

وقد كان القبانى محل ثقة الوالى التركى المصلح «صبحى باشا» الذى كلفه بتاسيس مسرح للحفلات الموسيقية والغنائية والتمثيلية لتنشيط مدينة دمشق فقام بمهمته احسن قيام واصبحت المدينة بفضله مقصد الفنانين والمثقفين مما اثار غضب علماء الدين الذين وجهوا احتجاجا للباب العالى ضد الوالى . فصدر الامر بعزله ومنعت الحركة الفنية .

وهكذا اضطر القبانى الى الهجرة للاسكندرية التى استقبلته احسن استقبال وكون بها فرقتا الفنية والمسرحية ووضع لها الركيزة الاولى للمسرح الغنائى وواصل ما بداه الفنان شاكر افندى سنة 1235 هـ ـ 1820 م بمصر من تلقين للموشحات وله فيها تلاحين عديدة اصبحت مرجعا للتراث (1) .

4 ـ الشيخ على الدرويش ـ (1301 ـ 1372 هـ 1884 ـ 1952 م) ـ انتسب فى اول عهده الى التكية المولوية حيث شب على الغناء العربى الاصيل وتعلم بها آلة الناى على (عثمان بك) وشرف الدين بك . الى ان برع فى عزف هذه الآلة . وسافر سنة 1912 الى اسطنبول بعد تعلمه اللغة التركية وانتسب الى المدرسة المعروفة (بدار الالحان) وتخرج منها بامتياز فى النظريات وفى العزف على الناى على الاستاذ عزيز ددة صاحب التآليف المشهورة . وعين بعد ذلك مدرسا للموسيقى فى معهد مدينة (قسطمونى) التركية حيث اقام ثمانية اعوام . الف اثناءها كتابا اسمه : «النظريات الحقيقية فى علم القراءة الموسيقية» وعدة معزوفات وموشحات . وقام الاستاذ على الدرويش بالتدريس فى القاهرة وتونس وبغداد. ويرجع اليه الفضل فى تكوين عدد طيب من الشبان تحملوا مسؤوليات فنية فيما بعد وقام ايضا بتدوين الموسيقى لاعداد الجزء الخامس من كتاب الموسيقى العربية للبارون ديرلانجى كما دون العديد من نوبات التراث الموسيقى التونسى وقام ببثها واذاعتها لاول مرة بالمشرق العربى .

(1) من اشهرها حتى الآن موشح «يا احتيالى يا رفاقى» فى مقام الحجاز .

ولى الشرف بالتتلمذ على هذا الاستاذ الكبير الذى بث فينا الروح الفنية العربية والعمل على اعلائها ونشرها فى الداخل والخارج.

ومن الفنانين الذين لهم مكانة طيبة فى ممارسة الموسيقى والتاليف فيها بهذه المنطقة نذكره : الاستاذ احمد الابرى صاحب المدرسة الوصفية الابتدائية العربية . والاستاذ عمر البطشى صاحب الموشحات الممتازة واستاذ الجيل الحالى . والباحث الفنان فخرى البارودى الذى يرجع اليه الفضل فى ترسيخ الروح العربية فى رواد الجيل الحاضر وتوفيق الصباغ الكمانجاتى البارع الذى له كتب عديدة نذكر منها : (تعلم الفنون) و (المجموعة الموسيقية) و (الدليل العام فى الطرب والانغام) و (رسالة) فى النغمات وتواترها الفيزيائى . وسليم الحلو الذى له باع فى الغناء والتلحين وله مؤلفات (الموسيقى النظرية) و (دراسة العود والنوتة) . و (الموشحات الاندلسية) وله مجموعة اخرى تنتظر الطبع . وجورج فرح استاذ آلة العود ، والمغنى والملحن حليم الرومى الذى كان احرز على الجائزة الاولى لمباراة تلحين الموشحات التى نظمها المجمع العربى للموسيقى سنة 1972 . وتوفيق الباشا وعبد الغنى شعبان ، والاب يوسف الخورى رئيس لجنة الانتاج بالمجمع المذكور .

الموسيقى والغناء في العراق

ان المخطوطات القديمة زاخرة بالحديث عن الحياة الموسيقية في العراق بصفة عامة وفي بغداد عاصمة الخلافة العباسية بوجه خاص .

ولكن بعد افول نجم الدولة العباسية نزل ستار كثيف على الحياة الفنية في العراق وخفيت عنا اخبار الفنانين وما انتجوه خلال تلكم الفترة رغم ما تاكد لدينا من عناية الدولة الجديدة التي قامت على انقاض العباسيين بالفنون وذلك من خلال ما لقيه الفنان الاديب الباحث صفي الدين الاوموي بعد سقوط بغداد سنة 656 هـ 1258 م ـ لدى هولاكو من حظوة ودعم من اجل تمكنه من الفن الموسيقي حيث ضاعف له المرتب الذي كان يتقاضاه من المستعصم آخر خلفاء بني العباس .

تروى الكتب العراقية انه من ذلك التاريخ اختلطت الموسيقى العراقية بالموسيقى الفارسية والتركية ودخلت في الغناء العراقي كلمات عديدة من لغة هذين الشعبين على غرار ما وقع في الاندلس بالنسبة للموشحات حيث اقحمت فيها خرجة باللغة الاسبانية ومن تلكم الكلمات : (يا دوست) بمعنى يا حبيب ـ و (فرياد من) بمعنى النجدة ـ و (جان من) بمعنى روحي ـ وقد وصل هذا الاختلاط اللغوي الى تغيير اسم الفرقة الموسيقية فبعد ان كانت تدعى النوبة اصبحت تعرف (بالجالغي) وهي كلمة تركية اصلها (جالغي طاقمي) اي جماعة الملاهي وبقيت هذه التسمية مستعملة حتى الآن بالنسبة للفرق التقليدية المتركبة من عازفي (سنتور) و (جوزر) مع ضابط ايقاع ومغني .

وقد اشتهر من الفنانين ما بين القرن الماضي والحالي جماعة يرجع لهم الفضل في المحافظة على التراث الموسيقي العربي ، في العراق فمن اقدمهم (الملا حسن البابوججي) الذي اجمع الفنانون القدامى على مقدرته ورسوخ

قدمه في الفن وقد توفي حوالي سنة 1256 هـ 1840 م بعد ما تخرج عليه جمع من مشاهير المغنين امثال ابن حميد والنيار والملا حسن الشيخالي وحسقيل شاهين ـ وتخرج عن هذا الجيل من المغنين زعيم ابرز طريقة في غناء المقام العراقي وهو المرحوم احمد زيدان الذي اوصل المشعل للجيل الذي ادركناه .

ولد احمد زيدان ببغداد سنة 1254 هـ ـ 1838 م وتربى عن جمهرة من الفنانين الاصيلين كما اسلفنا حتى كون لنفسه مدرسة خاصة فاقت التي لمعاصريه وتخرج عليه امثال رشيد القندرجي والحاج جميل ويوسف حوريش والحاج عباس الشيخلي وقدوري وقد كانت له رحمه الله مشاركة في المدائح النبوية وعينته دائرة الاوقاف للتمجيد بمنارة جامع (منورة خاتون) وكان ينتسب للطريقة القادرية وقارئا بها ويقال انه اول من ادخل المستعار على مقام الاوج .

وقد استمعت الى صوته في اسطوانة لدى السيد طلعت شوكت ببغداد فكان له قرار جميل وتصرف ممتاز في اداء المقام وتوفي رحمه الله سنة 1330 هـ ـ 1912 م .

ـ ومن مشاهير المغنين (الملا عثمان الموصلي) المولود بالموصل حوالي سنة 1267 هـ 1850 م وحفظ القرآن بها مع كثير من الاشعار الصوفية ثم انتقل الى بغداد وحفظ صحيح البخاري على الشيخ داود ثم رجع لبلده وتعلم التجويد بالسبع ودخل الطريقة القادرية ثم انتقل الى اسطنبول حيث عينه السلطان عبد الحميد رئيسا للمحفل بجامع ايا صوفيا ـ وبعد ذلك سافر الى الشام ومصر رغم فقدان بصره ونال بهما شهرة كبيرة بين المغنين ثم رجع الى اسطنبول ولم يغادرها الى بغداد الا عند الانقلاب الدستوري العثماني 1327 هـ 1909 م حيث سكن بجامع الصاغة الى ان انتقل الى رحمة الله سنة 1342 هـ 1923 م بعد ما اثرى الموسيقى العراقية بجملة من (الباستات) (اغاني) و المدائح النبوية وخلفه جيله من الحفاظ .

وابرز من ادركناهم من مغني المقام العراقي صديقنا الاستاذ محمد القبانجي المولود سنة 1322 هـ 1904 م ـ الذي يعتبر قمة الجيل في دقة الغناء واتساع الصوت ورقته مع حفظه لمجموعة طيبة من الاشعار التي تجعله يصلح لكل مقام غناء خاصا .

سافر الاستاذ القبنجي الى برلين في الثلاثينات وسجل بها مجموعة من الاسطوانات والف المقام على سلم اللامي لاول مرة في الغناء العراقي

وتعرف على الفنان خميس ترنان وحبيبة مسيكة اللذين جاءا من تونس لنفس الغرض وتعشق هذه الاخيرة التى كادت تجلبه لتونس بفرط جمالها وشارك القبانجى فى مؤتمر الموسيقى العربية سنة 1932 بالقاهرة وتاثر الملك فؤاد بغنائه واستعاده وهو يواصل تعاطى الغناء فى بيته ولدى اصدقائه على سبيل الهواية كما بدا باعتباره المرجع الممتاز.

وقد توج المجلس الدولى للموسيقى اعماله بترشيحه للجائزة العالمية للموسيقى لسنة 1979 باعتباره من ابرز المرتجلين فى الغناء العربى .

واشتهر بالعزف على السنتور ، يوسف بتونى حركى المولود سنة 1305هـ 1887 م ببغداد وتعلم على والده وتخرج عنه الحاج هاشم الرجب الذى له كتاب عن المقامات العراقية وآخر عن حل رموز كتاب الاغانى . واشتهر بالعزف على الجوزة صالح شميل بن صالح المولود سنة 1315 هـ 1897 م ببغداد والسيد شعيب ابراهيم الولود ببغداد سنة 1345 هـ 1926 م الذى يعتبر فريد عصره فى العزف على هذه الآلة مع تمكن ممتاز من المقامات العراقية وله تاليف لطيف فى اسلوب مقامات الحريرى فى التعريف بالفن والفنانين .

اما الغناء الصوفى المصاحب للذكر بمختلف انواعه المصرى والرفاعى والقادرى والبغدادى فقد بحثه لشيخ جلال الحنفى فى كتابه المعنون البغداديون والمقام العراقى المنشور سنة 1964 ـ وتخرج عن الشريف محى الدين حيدر بمدرسة الفنون الجميلة على طريقته التركية الخاصة جمهرة من العوادين تكونت بهم مدرسة جديدة نذكر منهم الاساتذة جميل بشير المتوفى سنة 1977 واخاه منير بشير امين المجمع العربى للموسيقى وسلمان شكر . كما دخلت طريقة العزف المصرى الى بغداد سنة 1948 بواسطة الفنان الفلسطينى الممتاز الاستاذ روحى الخماش الذى تأسست على يده اول فرقة للموشحات بالعراق .

الموسيقى والغناء فى فلسطين والاردن

ان هذين البلدين يشكلان مدرسة فنية موحده تربط بين ما يوجد فى الشام بالمعنى الواسع وفى مصر مع الاحتفاظ بطابع خاص فى الموسيقى والاغانى الشعبية التى تتميز بقصر جملها وتباعد درجاتها احيانا واصالة مقاماتها مع زخرفة موسيقية تولدت عنها جاذبية لحنيه اخاذه .

ومن الفنانين الذين قاموا بدور هام فى الحفاظ على التراث الموسيقى واثرائه بين القرنين الماضى والحاضر نذكر :

1 ـ الاستاذ واصف جوهرية الذى نشأ فى بيت فن وتعلم على والده وعلى الفنان الاستاذ حسين سليم الحسينى الذى تجول معه فى القرى والارياف لجمع الاغانى الشعبية الى ان تمكن منها مع براعته فى عزف الربابة والطنبور واتقانه لايقاعاتها ورقصاتها .

وبعد الغناء الشعبى برع فى العزف على العود ونمى ملكته الفنية بحفظه للموشحات عن الموسيقار الحلبى عمر البطش الى ان اصبح ملحنا متقنا اذيعت له قصائد واغان ايام الانتداب .

2 ـ روحى الخماش ـ من الخريجين الاوائل عن معهد الموسيقى الشرقى بالقاهرة وتتلمذ على الموسيقار الحلبى الشيخ على الدرويش الى ان تمكن من الموسيقى العربية احسن تمكن بما اهله لتسيير فرقة اذاعة القدس حتى زمن النكبة سنة 1948 حيث انتقل الى العراق وشارك بها فى التدريس بمعهد الفنون الجميلة ومعهد الدراسات النغمية واشرف على تاسيس فرقة الانشاد البغدادى بالاذاعة .

3 ـ واشتهر ايضا من المطربين والعازفين «خيزران» فى الغناء والعزف على القانون «وفروسو زهران» فى الغناء والعزف على العود ـ وكذلك الرقاق محمد السباعى وحسين النشاشيبى ونعمان عقل وحماده العفيفى الذى كان من هواة الفن الممتازين حيث كان موظفا فى العهد العثمانى بالعدلية وعباس الجاعونى الذى كان مغنيا وناقدا يؤخذ رايه فى الفنانين الرافدين من الخارج.

واشتهرت من الفرق ـ فرقة اولاد ابى السباع بحيفا ومن ابرز عناصرها عازف القانون عبد الله واخوه الرقاق عمر .

ونذكر من الشباب الحالى الاستاذ عبد الحميد حمام الذى درس باروبا وله دور ايجابى فى النهضة الحالية بعمان . والاستاذ احمد المزين الشريف المدرس والمطرب الذى يعمل حاليا بالقطر الليبى فى انتظار العودة .

الموسيقى والغناء فى ليبيا

ترتبط ليبيا مع بقية اقطار المغرب العربى والاندلس فى المدرسة الموسيقية الخاصة التى تعرف بفن (المالوف) . ولكنها تاثرت بالفن التركى الذى رافقها الى ابان الاحتلال الايطالى سنة 1911 .

وقد انتقل الفن الغنائى الى الحلقات الصوفية مع ادخال تغيير على كلماته وحافظ عليه الشعب جيلا بعد جيل داخل الطريقة العيساوية على وجه الخصوص التى تقام بها الحفلات فى الاعياد التى من ابرزها مناسبة المولد النبوى الشريف . سواء بالزاوية الكبيرة او الزاوية الصغيرة او بزاوية سيدى الشعاب على شاطىء مدينة طرابلس . وقد ادركت من مشائخ هذا الفن الذين تعاونت معهم على احياء المالوف الليبى سنة 1960 المرحومين المشائخ : حسن الكعابى ومحمد بوريانة والمختار شاكر المرابط ، وقد تخرج عنهم السادة محمد قنيص وحسن عريبى الذى يعتبر اول من ادخل هذا الفن التقليدى فى فرقة الاذاعة ومحمد مرشان الذى دون قواعده وانشا ناديها المعهد الوطنى للموسيقى ، وعلى منكوسة وعبد القادر الجزيرى . وقد تسبب التجاء الموسيقى للطرق الصوفية فى ضياع القطع الموسيقية الخالية من الكلمات ولم اعثر الا على خيال لها مما كان يرتجله المرحوم على الحداد بالغيطة (الزرنة) بمرافقة الحاج شقلب بالايقاع مما يشبه عمل طبل الباشا التركى .

وقد كانت لليبيا مدرسة خاصة فى تجويد القرآن الكريم تميزه عن غيرها ، آخر من اشتهر بها المرحوم الشيخ المختار حورية الذى كان يقرا بالاذاعة قبل الحرب العالمية الثانية .

اما الفن التركى فانه لا يزال ممارسا من حيث ايقاعاته المتداولة حتى الآن فى الفن الشعبى النسائى الذى تعرف فرقه (بالمزمزات) .

كما اشتهر فى كل الاقطار العربية الغناء الليبى المعروف بالمرزكاوى نسبة الى مرزك بفزان واشتهر به الفنان المرحوم البشير فحيمة الذى بثه بتونس والمرحوم على الشعالية الذى سجل منه الكثير والمرحوم كامل القاضى .

واعتبارا للموقع الجغرافى الليبى فقد اشتهر فيهـا الكثيـرون بالغناء المصرى وعلى راسهم الشيخ المختار شاكر المرابط الذى كان من ابرز حفاظ الادوار المصرية وقد وصل شغفه بها الى ادخالها فى عمل العيساوية بمقام سيدى الشعاب والشيخ المختار داقرة الذى كانت له شهرة ومكانة عندما كان لاجئا بتونس . والاستـاذ احمد شاهين الـذى اختص بالمدائح النبويـة على الطريقة المصرية. كما اشتهر بعزف هذه الموسيقى مع مرافقة الاغانى المرزكوية عازف الكمانجة والعود الموحوم محسن ظافر الذى تولى القضاء بعد الاستقلال . وعازف القانون الاستاذ العلرف الجمل وعازف العود والبيانو الاستاذ محمد حقيق الذى له ضلع راسخ فى الفن الشعبى الليبى وقد استمر الانتاج على غرار الفن الشعبى الليبى من امثال الاستاذ كاظم نديم بطرابلس والاستاذ ابى مدين بابن غازى وثلة مباركة من الشباب .

الموسيقى والغناء فى مصر

لقد كانت الموسيقى والغناء فى مصر يغلب عليهمـا الطابـع المدائحى والشعبى خلال القرن التاسع عشر ومن ابرز المناسبات التى تقام فيها الحفلات المولد النبوى الشريف وحفلة الرؤية اى التى تقام بمناسبة انتظار خبر رؤية هلال رمضان ، وليالى رمضان ، وبمناسبة توديع واستقبال الحجيج ، وبمناسبة ليلة الاسراء والمعراج ، ويقدم فى هذه المناسبات تجويد القرآن الكريم ، وانشاد القصة المولدية ، والموشحات المدائحية ، وتقام ايضا حلقات الانشاد والذكر للطرق الصوفية ـ ومن المناسبات الشعبية حفلة وفاء النيل التى تقام ابتداء من يوم 3 جويلية يوليو (تموز) فى جميع الشوارع ، وينجول فيها المنادون حاملين الاعلام، مرددين اهازيج الفرح بمقدم الخيرات والبركة التى يحملها النيل فى فيضانه .

وتوجدت فى تلكم الفترة بمصر فرق نسائية (العوالم) تقوم بالحفلات النسائية فى المناسبات العديدة ، وقد حافظن على التراث الغنائى لمناسبات الزفاف والتقاليد الشعبية الاخرى .

اما ممارسة مهنة الموسيقى فقد كانت مثل بقية المهن تستلزم الحصول على رخصة من شيخ الصناعة الذى يدعى لحضور حفلة كاملة يسمح بعدها للعازف بالاحتراف ، ويدعى حينئذ «آلاتيا»

وبرزت فى هذا العصر ثلة من الفنانين الممتازين كان لهم ضلع فى لحفاظ على التراث من ابرزهم الشيخ محمد بن اسماعيل بن شهاب الدين المتوفى سنة 1274 هـ ـ 1857 م الذى نشر سنة 1842 سفينة جمعت نحو 350 موشحا يعتمدها الفنانون الى الآن ، والمغنية مبروكة ، والعواد مصطفى العقاد ، وعازف القانون حطاب ، والكمانجاتى حسن الجاهلى ، والمغنين محمد عبد لرحيم

المسلوب ، والمقدم استاذ عبده الحمولى ، وفى هذا القرن استمر اتصال مصر بالفنانين الشوام فى شخص الفنان شاكر الدمشقى الذى اتى لمصر سنة 1820 بجملة من الموشحات والقدود .

وقد كان لمصر فى هذه الآونة اول اتصال بالموسيقى الغربية ، حيث بنى بالقاهرة اول مسرح للابرا بمناسبة الانتهاء من حفر قنال السويس ، وكلف الموسيقار الايطالى «فردى» بتلحين اوبرا «عائده» لتقدم بمناسبة تدشينها يوم 17 نوفمبر 1879.

وفى النصف الثانى من القرن الاخير وبداية القرن الحالى ، برزت جماعة من المغنين والعازفين بقيت آثارهم حية الى الآن بواسطة ما سجل على الاسطوانات اوائل هذا القرن نذكر منهم :

من العازفين على القانون محمد العقاد الكبير ، ومحمد ابراهيم الكبير وعبد الحميد القضابى وابراهيم العريان ، ومن العوادين : احمد الليثى ومحمد الجمركشى ، ومحمد الشربينى ، ومحمد القصبجى ، ومن عازفى الكمانجه ابراهيم سهلون ، وانطوان شوا ، وابنه سامى الذى كانت له شهرة كبرى زاحم بها المطربين ، ومن عازفى الناى على صالح ، وامين بزرى ، ثم جورج سعد .

اما المطربون والملحنون فقد تقدمهم :

1 ـ عبده الحمولى الذى ولد بمدينة طنطا (بمصر) عام 1259 هـ ـ 1843 م واشتهر بين اترابه بحسن الصوت وازاء محاولة والده الشديدة لابعاده عن الفن خرج من مدينته مع شقيقه الاكبر واستقر بالقاهرة عند المعلم «شعبان» المشهور فى ذلك العهد بالغناء والعزف على آلة القانون (بدون عرب) فظهرت عبقرية عبده الحمولى ، واستغله هذا المعلم مدة من الزمن ، ثم التحق بالمغنى الشهور المعروف باسم «المقدم» واشتغل معه الى ان استقل بنفسه وكون تختا ذاع صيته ، فوصل خبره للخديوى اسماعيل باشا ، فقربه اليه واخذه الى الآستانه عدة مرات حيث اتصل بكبار فنانيها ، واخذ عنهم الانغام والضروب ، بما مكنه من انطاء صبغة خاصة للموشحات المعروفة بمصر .

وكان لاتصال الحمولى بالاوساط العليا اثره فى اعطاء انتاجه رفعة ومكانة ويروى ان الوزير الشاعر اسماعيل صبرى باشا» استمع اليه يوما، فدعاه واهدى اليه قطعة من تاليفه كان تلحينه لها فاتحة عهد جديد للادوار المصرية وهى :

تدك امير الاغصان من غير مكابر
ورد خدك سلطان فوق الازاهر

احب عبده الحمولى المطربة الشهيرة «سكينة» المعروفة باسم «المظ» فتزوجها ولما ماتت سنة 1897 رثاها بغناء دور «الصبر محمود لمثلى»

وكان يحب الفقراء ويعطف عليهم ، ومما يحكى عنه ان احد الفقراء دعاه لاقامة حفل فنى بمناسبة فرح له فقبل ذلك بدون مقابل ، وما ان اكمل السهرة حتى بكى ، واتضح انه ترك بنتا له ميتة فى بيته ، ووفى بالتزامه حتى لا يكسف الفقير فى فرحه ، خاصة وانه يعمل بدون مقابل .

توفى عبده الحمولى سنة 1319 هـ ـ 1901 م تاركا انتاجا غزيرا قيما استفادت به الاجيال بعده كادوار : «الله يصون دولة حسنك» ـ «متع حياتك بالاحباب» ـ «وجددى يا نفس حظك» .

2 ـ محمد عثمان (1272 ـ 1318 هـ ـ 1855 ـ 1900 م) كان من مزاحمى الحمولى وظهر تفوقه عليه فى تلحين عدد من الادوار والموشحات التى بقيت متداولة حتى الآن مثل موشحى «ملا الكاسات» «واسقنى الراح» وأدوار «يا ما انت واحشنى» «وكادنى الهوى» «وحظ الحياة» .

والتحق بهذين العملاقيين ابراهيم القبانى المتوفى سنة 1346 هـ ـ 1927م ومن اهم ادواره «الكمال فى الملاح صدف» «يا الله اصلح الحال» ـ وكذلك كامل الخلعى المتوفى سنة 1356 هـ ـ 1937 تاركا نحو المائة موشح مع مجموعة من الاغانى المسرحية ، وكتابا عنوانه «الموسيقى الشرقى» ترجم فيه لعدد من الفنانين العرب المعاصرين ، وقدم فيه قواعد المقامات والايقاعات مع عدد كبير من الموشحات والادوار . وكان زار تونس بدعوة خاصة من المرحوم عبد العزيز زروق سنة 1910 ولحن بها دورا فى مقام الحجاز كار كردى ، بنوانه «القلب فى حكم الهوى» وموشحا فى مقام السيكاه «طاف محبوبى بكاس لمدام» وظهر عدد من المطربين الممتازين امثال المشائخ يوسف المنيلاوى (1233 ـ 1329 هـ ـ 1847 ـ 1911 م) وسالم الكبير (1247 ـ 1346 هـ ـ 1831 ـ 1947 م) وعبد الحى حلمى ، والسيد الصفتى ، وسلامه حجازى الذى تخصص فى الغناء المسرحى ، والمطربات كالسيدة ، واسماء الكوميسارية والعاجبه السويسيه . وجاء بعد هؤلاء عدد من الفنانين فاقهم المرحوم سيد درويش (1310 ـ 1342 هـ ـ 1892 ـ 1923 م) بانتاجه لعدد هام من الموشحات والادوار التى سجل عشرة منها على اسطوانات ، ومن غناء مسرحى ممتاز .

الموسيقى والغناء فى المغرب

فبعدما سجل عهد المرابطين (447 ـ 541 هـ ـ 1055 ـ 1146 م) فى المغرب قدوم الفيلسوف الفنان ابى بكر بن الصائغ من الاندلس واستقراره بالمغرب ضعف شان الموسيقى فى عهد الموحدين (541 ـ 618 هـ ـ 1147 ـ 1221 م) ليعود لها ازدهارها فى عصر المرينيين (618 ـ 961 هـ ـ 1221 ـ 1554 م) خاصة بعد قدوم كبر عدد من اللاجئين الاندلسيين العرب بمناسبة سقوط اشبيليا عاصمة الفن ثم غرناطة ويذكر كتاب الروض الهتون انه كان بمدينة مكناس عالم يدرس القراءات وعلم الموسيقى بالحانها وانغامها ـ وفى هذا العصر ايضا ظهر العالم الصوفى الشيخ محمد بن عيسى وانشا طريقته المعروفة بـ (العيسوية) وعمل على نشرها فوصلت حتى حدود مصر شرقا وتغلغلت فى صحراء كل الاقطار المغربية وهى لا تزال حية متداولة الى الآن وتعتبر هذه الطرقة من ابرز المؤسسات التى حافظت على الغناء التقليدى على تعاقب الاجيال فى المغرب العربى الكبير ويقام عملها فى الاضرحة فى مواعيد اسبوعية ولا يخلو منه بيت بمناسبة زفاف او ختان وختم عدد من الاحزاب القرآنية او رجوع حاج .

اما عصر السعديين (961 ـ 1069 هـ ـ 1554 ـ 1658 م) فقد سجل هو ايضا تقدما ملموسا فى تداول الموسيقى والغناء وظهر فيه الابتكار والتقدم ومن اقطاب هذا العصر الحاج علال البطلة مخترع مقام (طبع) الاستهلال بمدينة فاس ولعله تعرف بهذا المقام بمناسبة اتصاله بفنانين شرقيين لانه يقابل مقام (الراست) المعروف فى المشرق العربى وفى تركيا وايران وبقية الجمهوريات الاسلامية وعلى كل ففضله كبير حيث لحن عليه نوبة جديدة ـ ومما يؤكد نسبة المقام الى مدينة فاس قول الشاعر :

بالاستهلال الـذى تحقق ذكره ... فنغمته الحسنآ تهيج لى الغرام
ترنم به واشدو وكن به مولعا ... بحضرة فاس اهله من ذوى الكرام

العصـــــر العلـوى

ومن اقطـاب العصـر العلـوى (1070 هـ ـ 1659 م) عبد الرحمـن بن عبد القادر الفاسى الذى ينسب اليه تلحين قطع من نوبة راست لذيل وينسب اليه تحويل كلمات نوبة رمل الماية وجعلها من غناء (الجد) اى المدائح النبوية بما عزز عمل الفرق المدائحية المعروفة فى المغرب باسم (المسعين) وهى معتبرة لدى اهل الفن ولدى العامة حتى الآن وتقوم بغناء (بردة الشيخ البوصيرى) بطريقة مغربية عريقة مع الحان من النوبات الاندلسية (او الآلة المغربية كما يقال الآن) بكلمات صوفية.

ومن المؤلفين الذين برزوا فى هذا العصر الشيخ محمد بن قاسم بن زاكور . وعبد الكريم بن زاكور الذى تنسب اليه قطع من بسيط رمل الماية وله ديوان قصائد وموشحات مبين امامها اسم المقام (الطبع) الملحنة عليه وكذلك الشيخ الحاج حدو بن جلون الذى ينسب اليه تلحين قائم وصف مقام (طبع غريبة الحسين) وكانت له مدرسة مع زملائه الفاسيين امثال رشيد الجملى ومحمد الصبان والمكى محروش وغيرهم . تخرج منها عدد من الفنانين من اشهرهم الشيخ ابراهيم التادلى الرباطى والشيخ عبد السلام البرهى .

وفى هذا العصر جمع محمد بن الحسن الحايك كنشه الذى ضبط فيه الطبوع وعددها الى خمسة وعشرين وصنفها فى الاحدى عشرة نوبة المستعملة فى المغرب حتى الآن وذلك سنة 1202 هـ ـ 1788 م وقد تشرفت بضبط اصولها ضمن هيئة ضمت السادة المشائخ الحاج محمد بنونة والحاج ادريس بن جلون والحاج عبد الكريم الرايس ومحمد العربى التمتمانى اثناء ندوة فنية بالمغرب سنة 1964.

الفنانون المعاصرون : من ابرز الاحداث الفنية للقرن الجارى بالمغرب : مشاركة وفد مغربى هام فى المؤتمر الاول للموسيقى العربية بالقاهرة سنة 1932 وقد شارك فيه شيخ الفنانين المرحوم عمر الجعدى الذى كان محل عناية جلالة المرحوم محمد الخامس حيث كان يقيم بقصره .

وانشاء جمعية هواة الموسيقى الاندلسية سنة 1937 وقد كان للشيخ الاستاذ الحاج ادريس بن جلون الفضل الاكبر فى ذلك وفى حسن تسيير هذه الجمعية وفى جمع التراث الموسيقى الاندلسى حيث انجز تسجيل ثمانى نوبات من مجموع الاحدى عشرة وقد استقيت اوفر نصيب من معلوماتى فى الموسيقى المغربية عنه .

ومن الفنانين المشهورين الشيخ محمد بن عبد السلام البريهى المولود فى النصف الثانى من القرن الماضى وكان له فضل رواية التراث الموسيقى عن والده ومن عاصره من الفنانين وقد تخرج عليه اعلام مثل الشيخ عبد الكريم الرايس المولود سنة 1912 ورئيس فرقة فاس التقليدية التى اعطاها اسم استاذه . والشيخ احمد بن محمد الوكيلى المولود سنة 1909 ورئيس فرقة الاذاعة التقليدية وهو يعتبر من الحفاظ الممتازين . وتخرج عنه علم ممتاز هو الاستاذ محمد العربى التمسمانى الذى يشرف حاليا على فرقة مدينة تطوان التقليدية . وظهر فى هذا العصر ايضا بحاثون فى الموسيقى التقليدية نذكر منهم الفنان المؤرخ والملحن المرحوم الحاج محمد بنونة والسيد العربى الوزانى كما ظهرت مدرسة الاستشراق فى الانتاج الموسيقى وقد امتاز فيها العـواد والملحن الاستـاذ احمد البيضـاوى الذى تفتخر المغـرب بالحانـه .

مُلْحَقَات

اصول الايقاعات والمقامات العربية

لقد ضبط لنا ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندى فى رسالته اجزا
خبرية فى الموسيقى المحفوظة بدار الكتب العامة ببرلين تحت عدد 5503
الايقاعات المستعملة فى عصره والتى تعرض لها ابو الفرج الاصبهانى فكانت
كالآتى :

1 ـ الثقيل الاول ثلاث نقرات متواليات ثم نقرة ساكنة على وزن فعلتن
بما يفسر بـ

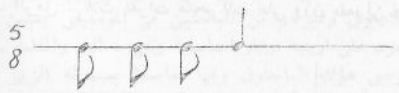

2 ـ الثقيل الثانى ثلاث نقرات ثم نقرة ساكنة ونقرة متحركة على وزن
فعلتان بما يفسر بـ

3 ـ الماخورى : نقرتان متواليتان ونقرة منفردة على وزن فعلان بما يفسر بـ

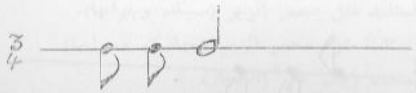

4 ـ الخفيف الثقيل : ثلاث نقرات متواليات وبين كل ثلاثة نقرات وثلاث نقرات زمان نقرة على وزن فعلن بما يفسر بـ

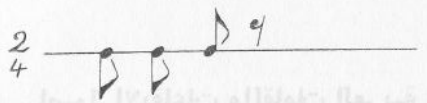

5 ـ الرمل : نقرة منفردة ونقرتان متواليتان وبين رفعة ووضعة ورفعة زمان نقرة على وزن مفعولن بما يفسر بـ

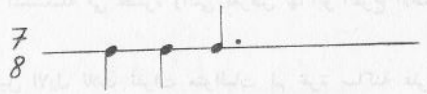

6 ـ خفيف الرمل : ثلاث نقرات متحركات على وزن مفعولن ويفسر بـ

وهو الوزن الذى اقتبس فى الغرب لابراز (الفالس) ـ فى فيانا .

7 ـ خفيف الخفيف : نقرتان متواليتان وبين كل نقرتين ونقرتين زمان نقرة على وزن (فعل) ويفسر بـ

8 ـ الهزج : نقرتان متواليتان وبين كل نقرتين ونقرتين زمان نقرتين على وزن فعول ويفسر بـ

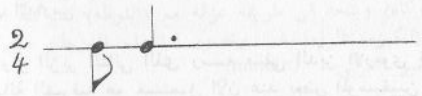

يذكر لنا ابو الفرج الاصبهانى عددا من الرموز لبيان الدرجات الصوتية وهى : 1) مطلق فى مجرى الوسطى ـ (2) مطلق فى مجرى البنصر ـ 3) سبابة فى مجرى الوسطى ـ 4) سبابة فى مجرى البنصر ـ 5) وسطى فى مجراها ـ 6) بنصر فى مجراها ـ 7) خنصر فى مجرى الوسطى ـ 8) خنصر فى مجرى البنصر .

ومن المتفق عليه ان الآلة الموسيقية المعتمدة فى هذه الرموز هى (العود) حيث لم نر الاصفهانى يذكر آلة اخرى للمغنين والملحنين غيرها . وعندما نراجع كتب الفيلسوف ابى نصر الفارابى وابى على ابن سينا وابن زيلـه وصفى الدين الارموى وغيرهم من الباحثين فى الموسيقى يتبين لنا الاتفاق على اشتمال العود على اربعة اوتار اساسية وهى : البم والمثلث ـ والمثنى ـ والزير ـ ويفترض هؤلاء الباحثون وترا خامسا يسمونه الزير الثانى وقد اثبته الارموى ـ وان تسوية اوتار العود هى كالآتى :

1) ـ مطلق البم مثل سبابة المثنى . اى عشيران . والحسينى .
2) ـ سبابة البم مثل بنصر المثنى (العراق والاوج) .
3) ـ وسطى البم مثل خنصر المثنى او مطلق الزير ()لراست والكردان
4) ـ بنصر البم مثل سبابة الزير الى جهة الانف (زير كلاه وشاهناز)
5) ـ خنصر البم مثل مطلق المثلث (دوكاه).
6) ـ المثلث مثل سبابة الزير (دوكاه ومحير)
7) ـ سبابة المثلث مثل بنصر الزير (سيكاه وجوابها)
8) ـ وسطى المثلث مثل خنصر الزير (جهاركاه وجوابها)
9) ـ بنصر المثلث ويدل على (الحجاز)
10) ـ وخنصر المثلث مثل مطلق المثنى .

وهذا يبين لنا بوضوح ان العود لم تتغير تسويته او درزانه او تقعيده على حسب التعابير من القرن الاول للهجرة والقرن السابع الميلادى ما عدا الوتر الخامس الغليظ الذى يسوى الآن (يكاه) او قرار جهار كاه او قرار بوسلك حسب المدارس .

كما ان وتر الزير الثانى الذى رسمه صفى الدين الارموى فى كتابيه الادوار والرسالة الشرقية هو مستعمل الآن عند بعض الموسيقيين ـ وبذلك سهل علينا ربط الحاضر بالماضى .

ومما ورد فى الكتب المذكورة ان هنالك مجريين الوسطى او البنصر لا يمكن لقاؤهما معا ـ كما يذكر ابن المنجم ان مطلق المثنى يسمى نغمة العماد لانه يعتمد عليه فى الطبقة والتسوية وقد بقى ذلك متداولا حتى الآن حيث يبدأ العازفون به عند التسوية فى جميع البلاد العربية . (نوى ـ صول) .

وبناء على ما تقدم نركز الرموز على وتر المثنى وعليه تكون درجات الاستقرار ومنها يبدأ سلم المقام وهذا ما جعل المتأخرين يحدثون وترا قرارا لهذا الوتر وهو اليكاه كما اسلفنا، مع امكانية تركيزها على كل من وترى المثلث او البم اذ المسافة بين المدرجات هى هى ، وتكون سلالم الاصوات كالآتى بالنسبة للمثنى :

1 ـ مطلق فى مجرى الوسطى : مطلق المثنى ـ سبابته ـ وسطاه ـ خنصره (الموافق للزير المطلق) سبابة الزير ـ وسطاه وخنصره ـ اى : نوى ـ حسينى عجم ـ كردان ـ محير ـ سنبلة جواب الجهار كاه ـ وجواب النوى .

وقد راينا العوادين القدامى يستبدلون عزف جواب النوى الذى يستلزم الغفق على ذراع العود بالنوى او المثنى وآخرهم المرحوم محمد القصبجى ـ وذلك اسهل فى الاداء ـ وبالنسبة للعازفين على العود الشبان فقد توخوا الطريقة الصعبة التى تمكنوا بها من استخراج جميع امكانيات العود بالغف على وتر الزير (الكردان) وهذا يرجع فى نظرى الى التلاقح مع المدرسة التركية فى العزف على العود وقد ظهرت فى مجموعة من عازفى حلب لقربها من الحدود التركية وفى بغداد بواسطة العازف التركى الشهير الشريف محى الدين الذى طبق ما اجراه الغرب على آلة الفيولنسال على طريقته فى العزف على العود ـ وكذلك مع المدرسة التونسية فى العود المعروف بين تونس وقسنطينة باسم (العود العربى) والذى فى تميز عزفه على الغفق تخالف تسويته تسوية العود الشرقى وهى من اسفل الى اعلى (كردان ـ نوى ـ محير ـ دوكاه) ويتحد فى طريقة عزفه مع (اللوطه) التركية اليونانية وفى شكله مع (الكبزه) الرومانية . وتصور لنا هذه الدرجات سلم النهاوند او المقام الصغير الغربى . (mineur)

2 ـ مطلق فى مجرى البنصر : تتغير فيه الوسطى بالبنصر اى العجم والسنبلة بالاوج وجواب السيكاه ويقابل حينئذ مقام الراست نيروز ـ او محير العراق التونسى والعراق الجزائرى .

3 ـ سبابة فى مجرى الوسطى : يماثل سلم النهاوند مع جعل المقر على الدرجة الثانية ويقابل المقام العراقى المسمى (اللامى).

4 ـ سبابة فى مجرى البنصر : يماثل سلم الراست نيروز مع الوقوف على الدرجة الثانية ويقابل مقام البياتى عشيران ـ ولنا منه المثال التونسى (موشح رأيت الرياض) (1) .

5 ـ وسطى فى مجراها : وهو يبدأ من الدرجة الثالثة للنهاوند فيعطينا العجم عشيران او المقام الكبير . (majeur)

(1) انظر السفر الثانى من التراث الموسيقى التونسى .

6 ـ بنصر فى مجراها ـ هو يبدأ من الأوج ويعطينا سلم العراق الشرقى وعقده الاول كما هو معلوم سيكاه .

7 ـ خنصر فى مجرى الوسطى : ويعطينا مقام نهاوند من النوع الذى يكون له عقد ثان نهاوند على الدرجة الخامسة .

8 ـ خنصر فى مجرى البنصر : ويعطينا سلم الراست المعروف حاليا .

ويتبين لنا من هذا البحث ان مقام الحجاز ومشتقاته لم يكن مستعملا فى ذلك العصر رغم تعرض الفارابى الى منازله فى بيان درجات العود ورغم تسميته باسم منطقة من الجزيرة العربية وما عدا ذلك فالمقامات الحالية تتماشى والدرجات التى بينتها الكتب القديمة وروتها عن فحول المغنين .

والمعروف الآن ان عدد الايقاعات والمقامات تزايد فى الموسيقى التقليدية العربية خاصة بعد انشاء المدرسة الاندلسية التى تلقحت بالموسيقى اللوبية والزنجية والاسبانية وبعد التشجيع الذى لاقته على يد السلطان العثمانى سليم الثالث (1175 ـ 1223 هـ ـ 1761 ـ 1808 م) وتزايد ايضا عدد المقامات بسبب سوء اداء مقامات اخرى مثل السيكاه التى ولد لنا اداؤها فى اسبانيا مقام الكردى الذى كان يسميه بعض الموسيقيين المصريين اول القرن (بياتى افرنجى) والشاهناز الذى تولد عنه فى البلقان (الحجاز كار) وراست الذيل الذى اعطانا فى اروبا الوسطى مقام النكريز والنوتر .

نرى مما تقدم كيف تطورت الايقاعات والمقامات العربية وتزايد عددها بما قدمه كل جيل من تآليف جديدة تعتمد الابتكار مبتدئا مما وصل اليه السلف

وعلينا ان نجمع كل الايقاعات والمقامات المستعملة فى كل المدارس العربية من الخليج الى المحيط وان نحث الملحنين على تطبيقها جميعا وبالعمل على تنميتها والزيادة عليها حتى يسهم جيلنا الحاضر بنصيبه فى بناء صرح الفن العربى .

الشعـر والـموسيقى

لقد تنـاول اغلب الشعـراء الغنـاء ، والمقامـات ، والايقاعات ، والآلات الموسيقية المختلفة وعازفيها . ونورد فيما يلى : نماذج من اشعارهم لما بين الادب والفن من متين الارتباط .

فى الميـل للمـوسيقى والغنـاء

لابن عبد الجبار الفكيكي :

ومن لم يحـركه الـربيع وزهـره ... ولا العـود حيـن تعتريه الاصابع
ولـم يتأثـر بـالسمـاع ولحنـه ... ولم يلتمسه الصفـو اذ هـو راجع
ولم تستفزه لا الضبـاء ولا المهـا ... اذا اعترضت او الجاتها الاجـارع
ولم يدر قط ما الغرام وما الهوى ... ولا مـوجعات القلب اذ يتـوجـع
فذلـك مختـل المـزاج طبيعة ... ولا شـك فيـه للحمير طبائـع

ولابى محمد الصباغ :

ومن لم يهزهزه السماع وطيبـه ... فذلك اعـمى القلب اعمى التبصـر
وان رسول الله قد قال : زينوا ... باصواتكـم آن الكتـاب المطهـر
فانى مغـرى بالسمـاع يطيبـه ... فحسبى اقتداء بالكريم ابن جعفر(1)
زيادة حسن الصوت للمرء زينـة ... يروق بهـا لحـن القريض المحبر
فكل امرىء عـاف السـاع فانه ... من الجهل فى غشوائه غير مبصر
وهام بـه اهـل التصوف رغبة ... لتهييج نـار الشـوق لما تسعـر

(1) لعله يقصد سيدنا عبد الله بن جعفر بن ابى طالب رضى الله عنهم لما اشتهر به من ولوع بالفن

وزانت لـداود النبـى زبـــوره ... مزاميره بالنوح فـى كـل محفـ
ولله فى الارواح عنـد ارتياحهـا ... الى اللحن سر للورى غير مفـ

لابى عبد الله محمد الظريف التونسى

المتوفى فى 11 جمادى الثانية سنة 787 هـ (1385 م)

قصيدة طويلة يسميها الفنانون (ناعورة الطبوع) وتشتمل على (6) بيتا طالعها :

من سفك دمعى ومن تحبير اجفانى ... صغت الهوى حليـة من حـر نيـر
ومن نحولى ومن سقمى وشـدة ما ... القاه من فـرط اشواقى واشجـا

ومنها ما ذكر فى اسماء (الطبوع) الفنية وهى المعروفة بالمقامات

جس (الرهاوى) وجر (الذيل) من طرب ... وتـاه فـى (الرمـل) احيانـا فاحيا
و (اصبهـان) غـدا يحـكى (بصيكتـه) ... (محيـر) الحـال (مـزمومـا) يهجـر
فهاجنى مـا بكى اهـل (العـراق) على ... فقد (الحسيـن) ففاضت منـه اجفـا
يشكو (النوى) ودموع العيـن تسبقـه ... حتـى رثـيـت لـــه شوقـــا فابكا
و (الرصد) اشعل فى قلب العليل جوى ... و (مايـة) احـرقت قلبـى واكثـــا
و (الاصبعيـن) غـدا يحـكى بصولتـه ... حتـى اذاب فـؤاد المـدنف العـــا
فقلت ما بك صف لى مـا ابتليت بـه ... ما بـال جسمـك مكلـوم الحشا فـ
هيجت لى لوعـة فـى القـلب ساكنـة ... خفض قليلا فقد هيجت احزانى الخ

فى المقامات العراقية

تلك مقامات الغنا الاصليه ... ندرجها والقطع الفرعية
بيات ناری طاهر محمودی ... سيكاه قوريات صبا حديدی
حجاز ديوان مع احليلاوی ... حجاز اجغ نوی بهر زاوی
ثم حجاز كار فالشيطانی ... عراق دشت عرب الركبانی
نوروز فالهزام فالمنصوری ... مخالف شوری بشيری جبوری
شرقی سعيدی جهار كاه ابراهيمی ... حسينی دشت عجم حكيمی
ارواح راست قطر جمال ... مسكين اوج سلمك عذال
عجوش قريباش فالسفيان ... خليلی كار الكرد فالباجلان
مقام نهاوند فالاوشار ... ناهفت بالابان بوختيار
ارفه رشيدی ايدين مدمی ... شرقی علی الدوقاه بيات عجمی
سيرنك علی زبار فالقزاز ... نكريز امكايل فالشاهناز
مخالف الكركوك فاحو يزاوی ... خلوتی فالساسانی فالحجاوی
المثنوی قاتولی فالماهوری ... فالمدنی فقطعة الزنبوری
ثم عريبون يلی عريبون ... بستنكار بنجكا همايون
حجاز سموه غريبا فی النغم ... قادر بيجان فسيكاه العجم
عشيش الكلكلی الاوك ... جناز ـ سيكاه حلب بوسليك
المستعار الخنبات السنبلة ... فراحة الارواح فالعمر كله
جصاص فالتفليس ثم اللای ... وهذه خاتمة الانغام

وقال القاضی المرحوم الشيخ عبد الواحد الونشريسی المتوفی بفاس سنة 955 هـ ـ 1584 م

فی الطبوع (المقامات) وملاءمتها للطبائع الاربع :

طبائع فی عالم الكون اربع ... ففی مثلها اضرب للطبوع بجملا
فاولها السوداء والارض طبعها ... وبالبرد ثم اليبس قد خصها الملا
وبلغم طبع الماء رطب وبارد ... وطبع الهوآ والحر للدم قد تلا
وصفراء طبع النار يحرق حره ... لما فيه من يبس بتدبير ذی العلا
فنغمة صوت الذيل ثم فروعه ... يحرك للسوداء خلطها مرتلا
عراق ورمل الذيل فاصغ للحنه ... ورصد له فار صده ان كنت ذا اعتلا
وللبلغم الزيدان ثم اصبهانه ... حجاز زوركند كما انجلا
وعشاقه فاق واختص بالغنا ... فهن فروع خمسة بعد بلولا
ومایة حسين حركت لذوی الدما ... برصد ورمل والحسين الذی حلا
وصفراء للمزموم فانسب فروعه ... غريب الحسين للطبوع مكملا
وزاد له طبعا غريب محرر ... واصل بلا فرع فلاتك مهملا
وصل وسلم فی ابتدائك اولا ... وختما علی من للخلائق رسلا

فى الايقاعات العـربية

ضـروب موازين الغنـاء جمعتهـا ... وها هى يا ابن الفن بعد ستذكـر

خفيف ثقيـل شنبـر ومـربـــع ... كـذا ورشـان فـاخت ومحجـر
وزد رهجـا فيهـا يليـه مخمـس ... كذلـك مصموديهـا والـمـــدور
ومن بعد ضرب الست عشرة اربع ... وعشرون ايضـا والظرافات اوفـر
ويتبعهـا طـرا نـوخت وبعـده ... يجىء السماعى وهو عنها يؤخـر
وان جمعت فيها ذكـرت باسـرها ... وعدتهـا فى سبـع عشرة تحصر

الى ان يقول :

ومرجعهـا كـلا الى الوحـدة التى ... بهـا تـوزن الالحـان حيث تحـرر

فـى الغنـاء ومؤديـه

مغنى يضرب بالدف ـ ويسمى فى مصر (الرق) :

بـروحى وروح النـاس افـدى مغنيـا
بديـع المحيـا والمـلاحة والنطـــق
اقـول لـه لـما حـوى الـدف كفـه
اغثنـا بقـول منـك يـا مالـك الرق

لابى نـــواس :

واهيف مثـل طاقـة يـا سميـن ... لـه حضـان مـن دنيـا ودبـــن
يحـرك حيـن يشـدو سـاكنـات ... فتنبعـث الطبـائع للسكـــون

لابى بكر الصـولى :

شغـل المـرء منظـر ثـم نطـــق ... وشكـوى المتيـم المهجـــور
وغنـاء ارق مـن دمعـة الصـب ... فهـو يصغى بظـاهر وضميـــر
صافح السمـع بالـذى يشتهيـه ... واذاق النفـوس طعـم السـرور

لابـن المعتـز :
فى حسن الغناء وجمال المغنية وحسن لباسها :

وغـنـت فـاغـنـت عـن المسـ ... ـعين وارتـج بـالـطـرب المجـس
محاسنهـا نـزهـة للعيـــون ... ومعـرضهـا كـل مـا تلبـــس

قال ابو الفتح محمود بن الحسن السندى المشهور (بكشاجم) المتوفى سنة 350 هـ ـ 961 م يصف بيت قينة (مغنية) :

ومنزل قينة سهل الحجاب ... تضمن كل آنسة كعاب
غذتها نعمة ولذيذ عيش ... فانبت صدرها ثمر الشباب
فمن عوادة تشدو وخرى ... بمعزفة واخرى بالربابة
ومحسنة موقعة بطبل ... كصوت الرعد من خلل السحاب
وشافعة صواحبها بناى ... احن من الخليع الى التصابى
وراقصة على كرة وحبل ... كخطف البرق أو لمع السراب
فما بقيت به عذراء الا ... صبت نحوى وهام فؤادها بى
أواصل هذه فتغار هذى ... وتعتب او تعرض للعتاب
واخرى بيننا بالكتب تسعى ... مكالمة وترجع بالجواب
فما ان رمته حتى تولى ... بذات يدى واودى باكتسابى

وقيل فى بحة الصوت وخفة العزف مع الغناء وجميل الاداء :

اشتهى فى الغناء بحة حلق ... ناعم الصوت متعب مكدود
كانين المحب اتعبه الشو ... ق فضاهى به انين العود
لا احب الاوتار تعلو كمالا ... اشتهى الضرب لازما للعود
واحب المحنات كعبى ... للمبادى موصولة بالنشيد
كهبوب الصبا توسف حالا ... بين حالين شدة وركود

وقيل فى مغنية تصاحب غناءها بالعزف على العود :

غنت فاخفت صوتها فى عودها ... فكانما الصوتان صوت العود
غيداء تأمر عودها فيطيعها ... ابدا ويتبعها اتباع ود ود

لمحيى الدين بن عبد الظاهر :

وناطقة بالروح من امر ربها ... تعبر عما عندنا وترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت ... (فنحن سكوت والهوى يتكلم)

لاحمد بن علوية الاصبهاوى

فى قبح الحديث مع الغناء :

حكم الغناء تسمع ومدام ... ما للغناء مع الحديث نظام
لو أننى قاض قضيت قضية ... ان الحديث مع الغناء حرام

لاحمد بن عبد ربه

فى من يبخل بالغناء :

يا من يغنى بصوت الطائر الغرد ... ما كنت احسب هذا البخل فى احد
لو أن اسماع اهل الارض قاطبة ... اصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

فى آلة العود وعازفيها

لابن معصوم :

وعود به عود المسرات مورق ... يغنى كما غنت عليه الحمائم
يرنح من يصغى اليه صبابة ... كما رنحته فى الرياض النسائم

ومن ذلك :

ومهاة قد راضت العود حتى ... عاد بعد اللجاج وهو ذليل
خاف من عرك اذنه اذ عصاها (1) ... فلهذا كما تقول يقيل

ولكشاجم :

جاءت بعود كان نغنته ... صوت فتاة تشكو فراق فتى
مخفف خفت النفوس له ... كانما الزهر حوله نبتا
دارت ملاويه فيه واختلفت ... مثل اختلاف الكفين شبكنا
لو حركته وراء منهزم ... على بريد لعاج والتفتا
يا حسن صوتيهما كانهما ... اختان في صنعة تراسلتا
وهو على ذا ينوب ان سكتت ... عنها وعنه تنوب ان سكتا

لابن شرف القيرو نى :

سقى الله ارضا انبتت عودك الذى ... زكت منه اغصان وطابت مغارس
تغنت عليه الورق والعود اخضر ... وغنت عليه الغيد والعود يابس

لابى نواس :

اذا كان يومى ليس يوم مدامة ... ولا يوم قينات فما هو من عمرى
وان كان معمورا بعود وقهوة ... فذلك مسروق لعمرى من عمرى

للبرهان القرطبى :

اقول اذ جس عودا مطرب حسن ... يريك يوسف فى انغام داود
من ضوء وجهك تبقى الارض مشرقة ... ومن بنانك يجرى الماء فى العود

(1) يقصد ادارة الملاوى .

لابن النحلى فى مغنية اندلسية :

ولا عبة الوشاح تفصن بان ... لها اثر بتقطيع القلوب
اذا سوت طريق العود نقرا ... وغنت فى محب او حبيب
فيمناها تقدبها فؤادى ... ويسراها تعد بها ذنوبى

وقال كشاجم يصف عودا وعوادة متعرضا لما قرزه بعض الحكماء من مقابلة اوتار العود للطبائع الاربع :

شدت فجلت اسماعنا بمخفف ... يحدثها عن سره وتحدثه
مشاكلة اوتاره فى طباعها ... عناصر منها الف الخلق محدثه
فللنار منه الزير والارض بمه ... وللريح مثناه وللماء مثلثه (1)
وكل امرىء تشتاقه منه نغمة ... على حسب الطبع الذى منه يبعثه
شكا ضرب يمناها فظلت يسارها ... تطوقه طورا وطورا ترعنه
فما برحت حتى ارتنى(مخارق)(2) ... يجاوبه فى احسن الشدو (عشعثه)
وحتى حسبت البابليين القيا ... على لفظها السحر الذى منه تنفثه

قال كشاجم فى مضراب العود وقد جعله زرياب من قوادم ريش النسر :

يا ايها الصلف المدل بحسنه ... جد للمحب فانت اهل الجود
بقبول مضراب حكاك بلطفه ... حسن التعطف مخطف مقدود
متشبه بك حين تخطر لاهبا ... وتميس بين مجاسد وعقود
لا تشتمن بى الحسود برده ... يفديك كل منافس وحسود
لم اهده لك يا مناى وانما ... اهديته متقربا للعود

(1) اسماء الاوتار وما يقابلها من الطبائع .
(2) من اشهر مغنى العصر العباسى .

فى آلة القانون

لفتح الدين بن الشهيد :

غنى على القانون حتى غدا ... من طرب يهتز عطف الجلبس
فحنت الارواح من شدوه ... الى انيس يالله من انيس
داوى قلوبا من غليل الاسى ... وكان فيه من هواه رسيس
فصاحت الجلاس عجبا به ... يا صاحب القانون انت الرئيس(1)

وللصفدى :

لى مطرب كملت جميع صفاته ... متادب الحركات والتسكين
فاذا دعاه لمجلس ندماؤه ... ياتى ويجلس فيه بالقانون ؟

فى آلة الكمانجة

لشمس الدين النواجى :

قم يا نديمى وبادر ... الى سماع الكمنجا
فليس من راح منا ... وراح عنا كمنجا ؟

لشهاب الدين بن حجر ـ فى وصف جارية تعرف بالكمانجة مواريا :

فيا منقذ الصب المحب من الضنى ... ويا حسن الوصف المكمل بالذات
فما الناى بالقانون فارحم ويق لى ... امهلكتى تبغى وانت كمنجاتى

(1) يقصد بذلك ابن سيناء .

فى آلة الرباب

انه يستعمل فى الموسيقى والغناء التقليديين فى المغرب العربى ـ وله شكل آخر فى المشرق العربى ويستعمل فى الغناء الشعبى وفى مصاحبة القصاصين وقد قال فى شانه : النابلسى فى رسالته (الدلالات فى سماع الآلات) : ان الرباب آلة موسيقية عربية قديمة نشات فى الجزائر وتونس ومراكش وبعد ان استعملت هنالك انتشرت فى البلاد العربية الاخرى هـ ـ والحقيقة انه يوجد ما يماثلها فى العراق تحت اسم الجوزة ـ وفى تركيا وايران تحت اسم (كمانشاه) وتوجد باسمها فى المشرق العربى وى اوزباكستان .

وقد استعملت فى التورية لدى احد الشعراء :

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفر ... فالشيخ فى كل الامور مهذب
طورا يغنى بالرباب وتارة ... تاتى على يده الرباب وزينب

فى آلة الناى

لابن قرناص :

ومشبب بجفاه راح يقتلنا ... وان تداركنا بالنفخ احيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته ... (والاذن تعشق قبل العين احيانا)

لسيف الدين المشد :

ومطرب قد راينا فى انامله ... شبابة لسرور النفس اهها
كانه عاشق وافت حبيبته ... فضمها بيديه ثم قبلها

فى المعزفـة

وهى آلة قديمة لم تعد مستعملة فى الموسيقى العربية يقول فيها كشاجم :

معلنـــة الاوتـــار صخابـــة ... لهـــا حنيـــن كحنيـــن الغـــريب
زادت علـى المـزهر طيبـا وقـد ... تاهت علـى النـاى بحلـق عجيب
مكســـوة احشـــاؤها حلـة ... بيضـاء مـن جلـد غـــزال ربيب
كانمـا تسعـة وتارهـــا ... نصبـن اشـراكا لصيـد القلوب

الطب والموسيقى

تؤكد الكتب القديمة ان للموسيقى علاقة متينة بالفحوص الطبية وحتى بالعلاج فمن ذلك ما ذكره استاذنا المرحوم المؤرخ حسن حسنى عبد الوهاب ان بعض دكاكين سوق الفكه بتونس كانت خاصة بالاطباء وقد كانوا يعزفون على العود نغمات او طبوعا متنوعة امام المرضى ثم يقررون وجهة نظرهم فى المرض ويعطون الدواء الشافى ابتداء من مدى تاثر المريض بهذه النغمة او بتلك .

اما فى الامراض العصبية والنفسية فدور الموسيقى مسلم به قطعا وقد كانت لنا بتونس اوقاف خاصة لاقامة حفلة موسيقية غنائية بالمستشفى الخاص بهذه الامراض (1).

وتنسب اغلب المؤلفات القديمة تاثير النغمات على المرض المعين بارتباطها بايقاع مخصوص فمن ذلك يقول فيلسوف العرب ابو يوسف يعقوب الكندى : ونغمات المثنى : (وهو الوتر الثانى فى آلة العود) مناسبة للثقيل الاول والثانى (وهما ايقاعان) وهى مقوية للدم محركة له مسكنة للسوداء مطفية لها .

وجاء فى رسالة اخوان الصفا فى هذا الموضوع قولهم : فاذا الفت النغمات فى الالحان المشاكلة لها واستعملت تلك الالحان فى اوقات الليل والنهار المضادة طبيعتها طبيعة الامراض الغالبة والعلل العارضة سكنتها وكسرت حدتها ، وخففت على المريض آلامه . لان الاشياء المتشاكلة فى الطباع اذا كثرت واجتمعت ، قويت افعالها وظهرت تاثيراتها وغلبت

(1) وقف عزيزة علمالة زوجة ملك تونس محمودة باشاء المرادى .

اضدادها . كما يعرف الناس مثل ذلك فى الحروب والخصومات . وقد تبين بما ذكرنا طرف من حكمة الحكماء الموسيقيين المستعلمين لها فى المارستانات فى الاوقات المضادة لطبيعة لامراض والاعراض والاعلال . ه ـ كلام اخوان الصفـــاء .

ويقول الشيخ احمد بز عبد الرحمن القادرى الرفاعى فيما ترجمه عن رسالة الاستاذ الكامل عبد الؤمن البلخى المؤلفة بالفارسية : « اعلم ان هذه المقامات الاثنى عشر مركبة بن الاربع طبائع نارية ومائية وترابية وهوائية . فالراست نارى وبرجه الحمل ، ساعته الزهرة فى الفلك يوم الجمعة ، وله من الشعب النيريز ، ويقال له باللغة الفارسية «مايـه» ، و «بنجكاه» ويقال له «برغك» وهو اول المقامات . ه .

ويسمى بقيـة المقامات على هذا النحـو فينسب الـراست والبـوسلك والشهناز بكونها نارية، والحسين والمقابل والنوى بكونها ترابية ، والعشاق والمخالف والسوريز بكونها مائية ، والعـراق والحجازى والزنكـولاه بكونهـا هوائية ، وما تشعب من كل مقام لحقه فى طبيعته .

ويزيد على ذلك فى بحث آخر فيقول : « واعلم ان لكل حرف طبيعة ايضا، فالالف والهاء والطاء والميم والفاء والشين والذال نارية ه . ويسير على هذا النحو مع بقية الاحرف وربطها بالبروج مثل المقامات

واشتمل هذا الكتاب على دائرة تربط بين المقامات والحروف والطبائـع والابراج والساعات والايام الثلاثة . وفى ذلك ربما يوجد سر لم يقع تناوله فى عصرنا الحاضر بالبحث العلمى الدقيق .

وبناء على ما تقدم خصص العرب فى المشرق والمغرب لكل وقت من اليوم مقاما او نغمة معينة وقد استعمل اهل المغرب العربى والاندلس كلمة (طبع) دلالة على المقامات الموسيقية وما ذلك الا اعتبارا لما يلائم طبع الانسان ومزاجه من هذه المقامات فى اوقات معينة من اليوم

وقد اثبت العلم الحديث النظريات القديمة التى تجعل للموسيقى تاثيرا على الفحوص الطبية والعلاج وقد قام احد اطباء فرنسا بتجربة التنبيم بواسطة الموسيقى .

واكد الدكتور «توماتيس» فى مؤلفاته ومحاضراته العديدة ان تجاربـ

اثبتت دور الموسيقى الهام فى العلاج وينقل عن ابن سيناء ان العلاج يكون اما بالصوت او بالنبات او بالسكين

واعتبارا لجدية الموضوع فقد خصصت لـه المنظمـة العالمية للتربيـة الموسيقية لجنة خاصة واوكلت رئاستها الى الباحثة الارجنتينية الاستاذة «فيولته دى فنزه» تقديرا للمجهود المبذول فى هذا الميدان بالارجنتين لذى اسس مركزا قوميا للعلاج الموسيقى ونظم عدة مؤتمرات عالمية فى الموضوع.

والكثير من الدول الاروبية والامريكية سائرة فى هذا الطريق اشواطا كبيرة ، والاجدر بنا ان ننحو نحوها فى البلاد العربية ، اعتبارا لما خلفا لنا أطباؤنا وفنانونا من مخطوطات كثيرة زاخرة بالمعلومات التى تؤكد علاقة الفن بعلاج الانسان وحتى الحيوان .

الموشح

ظهر فن الموشح بالاندلس على يد مقدم من معافر شاعر الدولة المروانية خلال القرن الثالث للهجرة (التاسع ميلادى) وهو نتيجة للاتصال بين حضارتى الشرق والغرب بما وصل اليه الادباء والموسيقيون من تفنن وسمو ذوق.

وهو من النظم المعرب عدا ما قد يضاف فى آخره مما يعرف بالخرجة ويكون بالعامية وحتى بالاسبانية .

ويتركب الموشح من مطلع او مذهب واقسام تغايره فى القافية يتراوح عدد ابياتها بين الثلاثة والسبعة ترجع فى نهايتها الى قافية المطلع .

وقد برز عدد كبير من الوشاحين فى الاندلس منهم احمد المشهور بالاعمى الطليطلى المتوفى سنة 520 هـ 1126 ومن موشحاته ما طالعه :

ضاحك عن جمان ... سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان ... وحواه صدرى

وابراهيم بن سهل الاشبيلى المتوفى سنة 649 هـ 1251 م ومن موشحاته ما طالعه :

ليل الهوى يقظان ... والصب ترب السهر
والصبر لى خوان ... والنوم عن عينى برى

وقد لحنت هذه الموشحات على اوزان النوبات المعروفة حتى الآن فى اقطار المغرب العربى . ثم انتقلت الموشحات الى المشرق العربى وادخلت عليها قفلات تركية وفارسية ولحنت على اوزان اكثر تنوعا مما عرف فى المغرب وقد وضعت عليها رقصة تعرف بالسماح .

ومن اشهر الوشاحين الشرقيين ابن سناء الملك المصرى صاحب كتاب دار الطراز المتوفى سنة 608 هـ 1211 م ومن الموشحات التى نسبت اليه ما طالعه :

كللى ـ يا سحب تيجان الربى ـ بالحلى ... واجعلى ـ سوارها منعطف الجدول

وتناول الموشح اغلب الشعراء فى مختلف البلاد العربية نذكر منهم من تونس (محمود قابادو) وقد نظم فى وصف النجوم ما طالعه :

صاح ها شمل السرور انتظما ... واغتنمنا فرصة المختلس
وتناولنا مصابيح السما ... فادرناها مكان الاكؤس

ومن العراق : الشاعر السيد سعيد حبوبى فى موشحه :

هاج برق السعد قمرى الهنا ... فتغنى هزجا فى هزج
وسرت باليمن من روضى المنى ... نسمة هبت بطيب الارج

ومن مصر احمد شوقى فى موشحته التى كتبها فى صقر قريش :

من لنضو يتنزى المها ... برح الشوق به فى الغلس
حن للبان وناجى العلما ... اين شرق الارض من اندلس

ومن حيث التلحين فان اغلب المدارس العربية تتناول غناء القفل الاول فى لحن معين يليه الابيات فى لحن مشترك ثم القفل الثانى على لحن القفل الاول وبالنسبة للموشح الاقرع تتناول غناء الابيات فى لحن موحد يليها القفل فى لحن مغاير ويسمى الطالع (1) .

ولقد لاحظنا فى تونس وفى تلمسان تلحين الموشح باكمله خارج النوبة وحينئذ تشترك اقفاله فى لحن موحد وتتغير كل مجموعة من الابيات عن الاخرى فى المقام (2) ـ ويجرى على هذا النسق تلحين الازجال ـ ونذكر من ذلك من تونس تلحين موشحات شق جيب الليل عن نحر الصباح فى مقام

(1) انظر موسيقى الموشحات فى : 1 ـ من كنوزنا (سوريا) 2 ـ الموشحات الاندلسية (لبنان) 3 ـ التراث الموسيقى العربى (مصر) 4 ـ التراث الموسيقى التونسى (تونس)
(2) انظر لحن موشح «كلل يا سحبه» فى السفر التاسع من التراث الموسيقى التونسى .

الاصبهان) للصفى الحلى وزجل (دير المدام فى الكاس) (فى مقام رمل الماية) لقاسم السراج – وزجل (آه على ما فات نارى لها وقود) (فى مقام راست الذيل) لابن عطروز (1) .

ولم اتناول الحديث عن الزجل من حيث نظمه لان بحره زاخر مختلف الاطراف متنوع التراكيب والاغراض فى كل قطر عربى ، تناوله الباحثون والفت فيه الكتب والرسائل.

(1) انظر الحانها فى السفر التاسع من التراث الموسيقى التونسى .

الكلمات الاعجمية فى الموسيقى العربية

أنه من أهم اسباب انتشار الحضارة العربية تفتح الاسلام على حضارات الامم والشعوب التى اتصل بها واعتباره لكل ما عدا العقيدة جزئيات يمكن استبقاؤها وتعميم الصالح منها اذا اقتضى الحال .

وهكذا عم العدل وتحقق الحوار المثمر بين تلكم الثقافات ، واطمأنت الشعوب للدين الجديد وللامة التى انبثق منها الاسلام وارتاح الجميع للوثيقة السياسية التى نطق بها الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فى قوله : (لا فضل لعربى على اعجمى الا بالتقوى) .

ونظرا لكون الموسيقى من العناصر الثقافية التى تدخل الآذان بدون استئذان، وتتمسك بالعقول والقلوب لتساهم فى ازالة ما بها من كروب، فقد حافظت حتى الآن على الوحدة بين الشعوب التى اختارت الاسلام دينا رغم المكائد السياسية التى حاولت التفرقة فيما بينها واطفاء النور الالآهى الذى شد احاسيسها ووثق عواطفها بينها طوال قرون عديدة .

ولذلك فاصل الغناء واحد بين جميع تلكم الشعوب وقد بقى حيا يتداولا حتى الآن مستعملا لكلمات موحدة سواء للتعريف بمقام او ايقاع او لاستعمال ترنيمة تكمل بها الجملة الموسيقية التى توسعت عن دائرة الكلمة الملحة .

ونورد فيما يلى قائمة فى اشهر الكلمات الاعجمية المستعملة فى الموسيقى العربية تعميما للفائدة .

الترمنـــات

الكلمـــة	اصلهـــا	معنـاهـا
يا دوست	فارسية	يا حبيبى
فرياد من	«	النجدة
دل يا نديم	«	قلبى يا نديم
ايكى كوزم	تركيـة	عيناى الاثنتان
افندم	«	سيدى
جانم	«	روحى
امـــان	«	للاستعطاف ،

المقامات والايقاعات والتراكيب

اصفهان	فارسية	اسم مدينة واسم مقام
اوج	«	الذروة ـ اسم درجة
اوج ارا	«	مزين الذروة ـ اسم مقام
بسته	«	رابط اغنية
بسته نكار	«	المحبوب ـ اسم مقام
بسند يده	«	مقبول ـ اسم مقام
يكاه	«	الصوت الاول
دوكاه	«	الصوت الثانى
سيكاه	«	الصوت الثالث
جهار كاه	«	الصوت الرابع
بنجـــكاه	«	الصوت الخامس
ششكاه	«	الصوت السادس
هفتكـــاه	«	الصوت السابع
بشرو	«	السير الى الامام ـ اصبحت بشرف اسم قطعة موسيقية
حجاز كار	«	عمل الحجاز اسم مقام
سازكار	«	عمل الآلات ـ اسم طريقة فى مقام الراست
حصار	«	سور ـ اسم درجة

الكلمـــة	اصلهـــا	معنـاهـا
خانة	فارسية	محل او جزا ـ تعـرف فـى المشرق بكلمة بدنية .
دستان	«	نغمة او درجة ـ موضع الاصابع من آلات الوترية .
دل	«	القلب
سوز دل	«	مجروق القلب ـ اسم مقام
دلشين	«	ساكن القلب ـ اسم مقام
ديوان	«	استكمال الثمان درجات
دويك	«	اثنان واحد ـ اسم ايقاع
راست	«	المستقيم ـ اسم مقام
رهاوى	«	نسبة الى مدينة رها ـ اسم طريقة فى مقام الراست
ذاويل	«	اسم طريقة لمقام
زيركولاه	«	قلنسوة ذهبية ـ اسم درجة
زنكولاه	«	جرس الراس ـ اسم مقام
سربند	«	ربطة الراس ـ اسم ايقاع
سنتير او سنتور	«	اسم آلة
سنكين	«	ثقيل ـ حجرى ـ اسم ايقاع
سوزناك	«	المؤلم اسم مضام
شوق افزا	«	مزيد الشوق ـ اسم مقام
طرزنوين	«	الطرز الجديد ـ اسم مقام
طاهر	«	منزه ـ اسم مقام ينسب لشيخ صوفى يقابل المحير .
فاخت	«	طائر يشبـه القمرى ـ اسم
فرحناك	«	مفرح ـ اسم لمقام
فرحفزا	«	مزيد الفرح ـ اسم لمقام
ماهور	«	الهلال ـ اسم لمقام
مايه	«	الخميره ـ اسم لمقام
نكريز	«	لا تهرب ـ اسم لمقام
نهاوند	«	اسم مدينة ـ اسم لمقام
نـــوا	«	تغريد ـ اسم لمقام

الكلمـــة	اصلهـــا	معنـــاهـــا
نوروز	فارسية	عيد الربيع ـ اسم لمقام
نيم	»	نصف
همايون	»	مبارك اسم لطريقة مقام الحجاز
بوسلك	تركيـــة	لثمة خفيفة ـ اسم مقام
دوزان	»	تسوية الاوتار (تقعيد تعديل)
دولاب	»	مقدمة موسيقية صغيرة
ساز	»	آلة موسيقية ـ وموسيقى آلية
قبا	»	غليظ ـ تضاف لاسم كل درجة
قار جعار	»	لمقابل البياتى شورى
الكردان	»	عقد ـ اسم جواب الراست
يكراه	»	سير سريع ـ اسم ايقاع

طرائف موسيقية من مختلف البلاد العربية

ـ يـا لايـمى يـــزينى من صاب (يا ليت) عينك عينى

ليت عينية ســواء :

طالع اغنية من نظم على الدوعاجى تلحين خميس الترنان يطلبها الص
(الاعور) من النطربة صليحة للتفكه معها ...؟

طمـع مطـــربة :

ـ كان من العادة ان توضع امام العوادة (1) مائدة هامة بها ما لذ وطاب
بين ذلك انواع من البيض مسلوق (ومروب) ونى ، لاحظ احد لنظارة
المطربة تكثر من تناول البيض النى وتضعه فى (شونها) وفى آخر السه
شكرها على مجهودها فى الحفلة وضمها الى صدره حتى تكسر البيض ف
ثيابها ؟

هـــروب فنـــان :

ـ كان الفنانون يقيمون حفلات بالمقاهى ويضعون طبقا فى مدخل الـ
يضع فيه كل متفرج ما تيسر من المال. اقام عازف الرباب السيد محمد غانم
من هذا القبيل بمقهى الحجامين ـ ولم يحضرها سوى القهواجى ؟ و
وصوله الى درج نوبة الذيل (باسم عن لآل) المعـروف ببدايتـه «بالهـرو
السريع عمد ناقر الطار (الرق) الى الضرب فى وزن بطىء . فقال له الش
(هروب يا الله) فرفع صاحبنا طاره وهرب من المقهى (لعلمه بقدم و
المقابل) ولما لامه فى اليوم الموالى اجابه :

(1) الفرقة الموسيقية الغنائية .

انى نفذت اشارتك ام تقل لى هروبا ؟

ساعـــة فنـــان :

– السيد الطاهر بدر، ناقر الطار – يذهب عقله بسبب ازدياد ثلاثة بنات له فى آن واحد يشترى (ساعة) يضعها فى طربوشه فيدق جرسها بالاستوديو اثناء الاذاعة ويحار فى اسكاتها .

«المطيبتيه» او عسكر الليل

دبشة الجزار للمطربة ام كلثوم واحمد الطرابلسى للمطربة حبيبة مسيكة والشريف الزريبى للمطربة فتحية خيرى – يسمى كل منهم قائدا وله جماعة يحضرون معه حفل المطربة او المطرب الذى ينتسبون اليه لاحداث الجو الفنى فى الحفل وحمل النظارة على التجاوب مع الطرب .

اغنية النجدة

– فى حرب طرابلس مع ايطاليا سنة 1911 توجه وفد من قبائل الجنوب التونسى من بنى زيد والهمامة والحمارنة وغيرهم للنجدة – ولما شاهدهم القائد تغنى بقوله :

احنـا خوتنـا الاحـرار هـا هم جـونا

من الغـرب الاقصى لبـا جبل طرهونـه

فاجابه القائد التونسى محمد الذيب الغليوفى مترنما :

سمعنـا لخيـوه يفتنـوا جينـــاهم

ززنـا الـذرارى والحريم معاهـم (1)

القاضى الفنان

– كان قاضى مكة الا وقص المخزومـى المشهور بالعفاف والورع نائمـا فى بيته واذا بسكران يمر بالشارع امام داره ويغنى (عوجى علينا ربة الهودج) فاشرف عليه القاضى وقال :

يا هذا شربت حراما ـ ايقظت نياما وغنيت خطا – خذ هذا اللحن عنى ، واصلح له ما كان يغنى .. ؟

(1) اى تـركنا .

مكانة اشبيليا فى الفن

– جرت مناظرة فى حضرة المنصور ثالث ملوك الموحدين بين ابن زهـ وابن رشد فى المفاضلة بين قرطبة واشبيليا وقد اكد ابن رشد انه اذا مات عالم باشبيليا فاريد يبيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها واذا مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيليا (لمكانتها المرموقة فى الموسيقـى والغنـاء) .

يقال اشام من طويس :

لانه ولد يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم – وفطم يوم مات سيدنا ابوبكر واحتلم يوم قتل سيدنا عمر وتزوج ليلة قتل سيدنا عثمـان رضى الله عنهم .

المبـــردان

– لقى ابو العباس المبرد «برد الخيار» المغنى فى يوم ثلج بالجسر فقال له : انت (المبرد) وانا (برد الخيار) واليوم كما ترى – اعبر بنا لا يهلك الناس بالفالج بسببنا .

جـــزاء مغنـــى

– حضر جحظه مجلسا فى بيت على بن بسام فتفرق القوم المخاد – فقال جحظه : فمالى لم تعطونى مخدة (وقد اشتهر بقبح الصوت) فقال على بن بسام غن فالمخاد كلها اليك تصير

المطـرب البـارد

– ارسل احد الظرفاء غلامه يشترى له خمسة ارطال ثلجا فاتته باحد المغنين (اشتهر بثقل الروح) ولما سأله عن الثلج اجاب : طلبت خمسة ارطال فاتيتك بحمل .

قيل فى ذم فنان

– يترنم فيتعب ولا يطرب – اذا غنى عنى واذا أدى آذى – يميت الطرب ويحيى الكرب ضربة يوجب ضربه .

قيل فى شكر مغنى

ـ هو طبيب القلوب والاسماع ـ ويحيى موات الخواطر والطباع ـ يطعم الآذان سرورا ويفتح فى القلب نورا .

الصـــوت الحســـن

وقيل الطير قد يسوقه للموت اصغـاؤه الى حنيـن الصـــوت

الـرحلـة الموفقـة :

قام جمع من الفنانين برحلة فى احد الاقطار العربية اوائل القرن ولكن ما ان وصلوا للمدينة الاولى منه حتى تهاطلت الامطار بما تسبب فى توقف الرحلة ومكوث اعضاء الفرقة بالفندق دون ان يكون لديهم ما يكفى من المال لخلاص اقامتهم .

وكان صاحب الفندق ميالا للفن يدعوهم كل مساء للسمر والطرب وبعد اسبوعين بدأ تحسن الطقس وطلب صاحب الفندق الخلاص فتقدم اليه اشطر اعضاء الفرقة واخذ يحاسبه عن ثمن كل قطعة موسيقية وغنائية قدمت فى سهراته بما جعله مطلوبا لديهم . فاطردهم ولكنهم تخلصوا بهذه الحيلة من دفع ثمن الاقامة .

الروح اثقل من الجسد :

كانت بتونس فى الاربعينات مطربة تدعى «اسمهان» وكـانت جسيمـة يقارب وزنها القنطاربن .

طلعت ذات يوم على الركح فى حفلة فنية فارتفع منه الجانب المقابل لها بسبب ثقل وزنها ولم يتيسر ارجاع توازنه الا بطلوع مغن اشتهر بثقل الروح على الجانب المرتفع ؟

التحكـــم الفنـــى

ـ تحـاكم فنانـان لـدى الشيـخ على الدرويش الموسيقـار الحلبـى حول جمال صوت مغنيـة مشهورة ، فهذا يـدعى ان صوتها فى القـرار

احسن ويؤكد الآخر انه فى الجواب (الرقيق) احسن فسوى بينهما الحكم بقوله «لما تسكت احسن واحسن»؟

دعـــــاء :

كان استاذنا الشيخ على الدرويش يدعو عند الفراغ من الاكل فى احدى البيوت بمناسبة حفل بقوله : اللهم هنى من اكل، وعوض على من بذل، واتنا بمثله على عجل .

المغنى والامام ابو حنيفة

الرواية عن الاصمعى (كتاب الاغانى)

كان لابى حنيفة جار بالكوفة يغنى بصوت حسن فكان اذا انصرف وقد سكر يغنى فى غرفته ويسمع الامام ابو حنيفة غناءه فيعجبه . واختص هذا الجار بغناء شعر العرجى :

اضاعـونى واى فتـى اضـاعـــوا
ليـوم كريهـة وسـداد ثغـــــر

فلقيه العسس ليلة فاخذوه وحبس ففقد ابو حنيفه صوته تلك الليلة ، فسأل عنه من غد فأخبروه فدعا بسواده وطويلته فلبسهما وركب الى الامير عيسى بن موسى وقال له : ان جارا لى اخذه عسسك البارحة فحبس ، ما علمت منه الا خيرا فقال عيسى : سلموا الى ابى حنيفة كل من اخذه العسس البارحة ، فاطلقوا جميعا ، فلما خرج الفتى دعا به الامام ابو حنيفة وقال له سرا : السنت كنت تغنى يا فتى كل ليلة : اضاعونى .. الخ . فهل اضعناك ؟ قال : لا والله ايها القاضى ، ولكن احسنت وتكرمت ، احسن الله جزاك قال : فعد الى ما كنت تغنيه ، فانى كنت آنس به ، ولم ار به باسا

ويقال : ان الفتى رجع لغنائه وترك شرب الخمر من ذلك الحين

الامام مالك ابن انس

عن الاغانى : (عند التعرض الى طويس) ص 225 ج 8.

كان الحسين بن ضحمان الاشقر بالمدينة فخلاله الطريق وسط النهار فجعل يتغنى ابياتا عرف بها طويس :

ما بال اهلك يا ربـاب خزرا كانهـم غضاب

فاذا خوخة قد فتحت واذا وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء فقال يا فاسق أسمات التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ، ثم اندفع يغنيه ، فظن الحسين ان طويسا قد نشر بعينه ، فقال له : اصلحك الله ، من اين لك هذا الغناء ؟ فقال : نشأت وانا غلام حدث اتبع المغنين وآخذ عنهم ، فقالت لى امى : يا بنى ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه فانه لا يضر معه قبح الوجه فتركت المغنين واتبعت الفقهاء فبلغ الله بى عز وجل ما ترى ـ فقلت له : فاعد جعلت فداءك قال : لا ولا كرامة ، اتريد ان تقول : اخذته عن مالك بن انس . واذا هو مالك بن انس ولم يعلم الحسين .

من نكت المطربة «ام كلثوم» :

كان هواة الفن يستلطفون المطربة «ام كلثوم» فينادونها «ثومه» وذات يوم حضر احد جيرانها حفلة لها واخذ يكرر كلمة «ثومه» بطريقة مقلقة ؟ فالتفتت اليه وقالت : «اهلا بجار ثومه» ؟

التـرقيـم المـوسيقى :

ادعـى احد الالمان «فى مقام الهزل» ان الترقيم الغربى الحديث للموسيقى اصله عربى وان اصـوات «دو» «راى» «مى» «فا» «صول» جـاءت من كلمـة «در مفصل» فأيده أحد الاخوان السوريين (هازلا) بأن اصوات «راى» «مى» «فا» صول «لا» «سى» «دو» اصلها رمى الفاصوليا لسيدو»؟

تخلـص فنـى ؟

لقد تقرر تعميم التعاضد فى تونس سنة 1969 وبمقتضى ذلك اعطى اجل لشيخ الفنانين بمدينة «تسور» الاندلسية السيد محمد بن اسماعيل ليسك بستانا له اثر مهرجان المالوف (الغناء التقليدى) الذى يقام به ويدشنه وزير الاقتصاد فعلق لافتة فى مدخل البستان كتب عليها صدر البيت الثانى من بيتى نوبة مقام رمل المايه الآتيتين :

قـدم المسـا يـا مرحبـا بقدومه

وهذا النهار قد انقضى فى سبيله

(واقرا السلام على البساتين كلها)

وعلى الحبيب لمـا اختلى بحبيبـه

طـالب غبـى :

كان الشيخ احمد الوافى بصدد تعليم غناء موشح ابن سهل الذى مطلعه :

ليلا لهوى يقطعان والنجم ترب السهر

الى ان وصل به الغناء الى آخر الموشح :

رضـاك للنفـس مثل الصبا بعد المشيب

والامـن للهفـان واليسر بعـد العسـر

وجنـة الـرضوان بعـد العـذاب الاكبـر

فتوقف عند آخر بيت منه لضيق الوقت وفى اليوم الموالى طلب من تلاميذه : اين وصل بنا التعلم امس ؟

فاجاب مغن غبى : لقد انتهينا من «جنة الرضوان» ودخلنا فى «العذاب الاكبر» ؟

مقـام الاصبهـان المغربى :

لقد ذكر الاستاذ الحاج ادريس بن جلون فى المحاضرة التى القاها فى المؤتمر الموسيقى المنعقد ببغداد سنة 1964 ان المتسولين يغنون على مقام الاصبهان لاستعطاف اهل البر ـ وفى نفس اليوم تقابلت الوفود مع السيد وزير الثقافة فتقدم احد الباحثين محاولا اقناع السيد الوزير بضرورة شراء عدد من نسخ كتاب له وتوزيعها على اعضاء المؤتمر ـ فالتفت الى المرحوم الاستاذ محمود احمد الحفنى وقال لى «الاستاذ يغنى على مقام الاصبهان» ؟

التغـالى فى التعريب :

ـ مقام اليكاه تركى الاصل وليس فيه حينئذ من الشواهد سوى قطعة تركية وقد اراد المرحوم فؤاد رجائى الفنان الحلبى اقامة الدليل على عروبة هذا المقام فى الكتاب الذى الفه مع الاستاذ نديم الدرويش (من كنوزنا) فاتى بشواهد من مقام الاصبهان التونسى من تاليف الاستاذ محمد التريكى فجادلته فى الموضوع حيث ان المقامين يتصلان فى شىء ويختلفان فى اشياء فاصر على عروبة المقام وانطباق الشاهد الجديد والتخلى عن الشواهد التركيـ فاجبته : «لقد حاولت التخلص من التركى فقبلت التريكى» (اشارة الى اللحن)

الســـواق الفنـــان

ـ ركب شخصان من اصحاب الاصوات الرديئة سيارة اجرة فى القاهرة وانطلقا يغنيان بالتناوب ولما وصلا لمقصدهما طلب منهمـا السـواق اجـرة خمسين قرشا فعارضه احدهما بان بالعداد ثلاثين قرشا فقط فاجابهما : «الباقى عن شان الاسبرين» ؟ (أقراص وجع الرأس) .

المغنـــى الثقيل

ـ عندما توليت القضاء سنة 1951 ظهرت نكتة فى تونس ـ قيل انى خيرت متهما بين عقابين : سجنه مدة ثلاثة اشهر او سماعه لقصيد من فلان (وقد كان مغنيا ثقيلا) فمد يديه للحراس .؟

ركـــاكة مغنـــى

ـ لقد ظهر فى الثلاثينات عدد من المطربين الهواة ينتقلون بين الحفلات الخاصة بدون استدعاء ويفرضون غناءهم بتاييد اصدقائهم الذين يرافقونهم وكان الفنانون المحترفون يشمئزون من حضورهم، وحضر احدهم حفلة فـى حالة سكر ـ واقترح عليه اصحابه الغناء بالحاح فانطلق يغنى من نوع العروبى:

يـا لنـدرى واش بـى اللـى يشـوفنى يظـل هـارب

فاجابه العواد محمد بن عبد السلام : الم تتفطن ! ان ذلك وقع لما بك من ركاكة ؟ ؟

ان بعض الظن اثم

يعتبر الشريف محى الدين حيدر من ابـرز الفنانيـن الاتـراك الذيـن اشتهروا بالتضلع فى الموسيقى الشرقية والغربية فى آن واحد وكان ذات يوم يعزف على آلة الفيولنسال (لكامنجه الكبيره) فراى خادمه «ممت آغا» يبكى متاثرا بعزفه بكاء شديدا . ولما انتهى من العزف اخذ يطيب خاطر الخادم مكبرا فيه شدة تاثره بهذه الآلة الغربية . ولما ساله عن الناحية الخاصة من الموسيقى التى بلغت به هذا التاثر اجاب الخادم بانه كان له عجل فى صغره يحبه كثيرا . وان صوت هذه الآلة يذكره بخوار عجله ؟

طلب وســـام

لقد حصل امير الكمان الاستاذ سامى الشوا فى الثلاثينات على وساميين من ملك تونس وامير الاردن ولم يحصل على وسام من مصر رغم محاولاته فاغتنـم فرصـة المشاركة فى حفل حضره الملك فؤاد فوضع وساميه عـلى الناحية اليمنى من صدره على خلاف التقاليد ـ فارسل له مدير التشريفات لوما على ذلك فاجابه : لقد تركت المكان المناسب لمولانا .؟

الدعـــاية بالغنـــاء

جلب تاجر عراقى من أهل الكوفة زمن الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز خمرا للمدينة المنورة فباعها وبقيت له كمية منها سود لم تبع . فشكى امـره للشاعر المغنى « الدرامـى » الذى كان اعتزل الفن وقرر الاعتكاف . فخـرج من المسجد وصنع قصيدا غناه :

قل للمليحـة فى الخمـار الاسود
مـاذا صنعـت بنـاسـك متعبـد
قـد كـان شمـر للصـلاة ثيابـه
حتـى وقفت لـه بـباب المسجـد

... الى آخر القصيد .

فشاعت القطعة بين الناس فلم تبق امرأة بالمدينة الا ابتاعت خمارا اسود. وعندها عاد الدرامى لنسكه وعبادته بالمسجد .

روح رامـــى :

كان شاعر الشباب احمد رامى نازلا فى مدرج عمارة والمطربة ام كلثوم صاعدة فتوقف ، فاشار عليه رفيقه بمواصلة الطريق . فقال له : كيف انزل وروحى طالعـــة ؟

امثـال موسيقية

يقال فى تاثر المجانين بضرب الطبل :

ـ دقت الطبلة وبانت الهبله
ـ مهبوله وزغرتولها فى وذنها
ـ دقو الطبل ع التله جريت كل مختله

ويقال ايضا فى الطبل :

ـ فلان كى الطبل ـ الصوت العالى والجوف الخالى
يضرب كى الطبل : (ياكل من ناحيتين او يغتنم أكثر من فرصة)
فلان زى الطبال الاعمى يغبط خبط عشواء
طول ما انت زمار وانا طبال يا ما راح نشوف م الليالى الطوال (فى العناد)
ـ زى طبل نشوه . مجعور (جلده مفلوق) وملاحق على زفتين (حفلتى زفاف)
لمن لا يصلح لعمل واحد وهو يسعى لعملين ؟
فلان زى الطبل منفوخ ع اغاضى ؟
ـ تطبل على دماغه (اى تنزل الكارثة على من تسبب فيها)
ـ اللى ما يجى طبله يجى بندير ؟ مثل لعدم اهمال الشىء (يقصد هنا الجلد).
ـ لا ينفع طبله ولا طار (لمن لا يصلح)

فى مواضيع اخرى :

ـ ضربان الطر ولا قعاد الراجل فى الدار (للاستهزاء بالاشتغال بالموسيقى)

ـ بردانين يتقفقفوا . جابولهم طار يسقفوا (لمن يستحق الضـرورى فيأتـو بالكمـــالى)
ـ قالوا ليه بتعملوا كدا ، قالوا بنكيد العدا (لمن يظهر بغير امكانياتا)
ـ آخر الزمر طيط (صوت المزود الاخير التافه) (لمن اكثر من اللهو والمجون)
ـ لمن تقرأ مزاميرك يا داود ؟ (لمن لا يفهم)
ـ اللى يدفع الفلوس ـ يبدا ولدو يزمر ـ
قاله رجل مسافر : اتاه رجال القرية ونساؤها طالبيـن ان يانى لهـ بمزامير لابنائهم . وتقدم له احدهم بنفس الطلب ووضع ثمن الزمارة فى يده فقال هذا المثل .
قالوا للجمل زمر : قاللهم لا شفايف ملمومة ولا صوابع مبرومة (لمن لا يصلـ لعمل كلف به)
ـ شرنن يتلمو بيك (من اسمع صوت الدراهم) وتفسر (رأيت الناس تد مالو الى من عنده مال)
ـ اللى يزمر ما يخبيش لحيتو ؟ (لضرورة تحمل مسؤولية الفعل)
ـ يسيبو الجلجل (لاشاعة الخبر)
ـ اشبيك تجرى وفى يدك جرس (جلجل) آش قالك آش قتلك نسيب سبيبتى شرى فرس (لمن يفتخر بما لغيره)
ـ يموت الزمار وصوابعو تتحرك (لغلبة التعود)
ـ المغنى يغنى فى غناه والسامع ياخذ معناه (لمن يفهم كما يريد)
ـ الغنى يغنولو ـ والفقير منين يروحولو (لمراعاة الاغنياء واحتقار الفقراء)
ـ صبت على مولى الملح غنى لها مولى الفلفل (مصائب قوم عند قوم فوائد)
ـ لو كان مهنى راهو بات يغنى (لمن بان حزنه)
ـ اقل عروبى يشيخ مولاه (اقل الغناء يسعد)
ـ اذا جاعوا انوا ـ واذا شبعوا غنوا (يتماشى ونظرية ابن خلدون فى الغناء)
ـ زنت النحلة على خراب جبحها (اشارة لعدم التظاهر بالترف)
ـ القد قد الفولة والصوت صوت الغولة (لمن كان صغيرا وصوته جهورى..؟)
ـ بالشعليح (اى الرقص) اخذينا الواد ـ (ويقصد منه واد سحيل من طرف اهل نابل؟) للدلالة على الحيلة فى الحرب (وقد كانت بالرقص)

ـ كيف جمع الغربان اولهم غق وآخرهم غاق . وما يجيو لقرية كان باش يعملو غاق (لمن اذا دخلوا قرية افسدوها)

ـ لبسة الشمطحه ليها كمام ؟ (ضرورة التهيء للشيء)

ـ اللى ما شمطحت مزت اكمامها (لمن شاركت فى فعله)

الدنيا جازيه (حسناء) ترقص لكل خد شويه

ـ ضربة المعلم بالف ولو كانت بلاش

ـ دقتك لجارك سلف (لمن يشارك جاره افراحه)

ـ اضرب على الطاسه تجيك الف لحاسه (لمن ياتين الحفلات بدون دعوه)

يقال لمن يعمل عملا لا يشعر به الناس : فلان مثله كمثل من يرقص فى المدرج ، الفوقى لا يراه والتحتى لا يراه ؟

يقال لمن يتحدث ويؤيد نفسه بنفسه : يغنى وجناحه يرد عليه (اى يجيبه او يحاسبه)

ويقال لمن يجيب خارج الموضوع : غنى له فى السيكاه يجيبك فى البياتى

يقال : كل شيء ومستوره الا فتحة الجاعوره ـ دلالة عن انفضاح من يغنى بصوت ردىء او يتحدث بفاسد الكلام ؟

يقال : عن صدق المغنين وكبريائهم : تيه مغن وظرف زنديق

ـ اذا طوال عليك الليل عليك بنوبة الذيل (لكثرة موشحات هذه النوبة)

ـ ان طال ليلك فارست (لكثرة موشحات هذا المقام)

ـ نطقوه بصاع وسكتوه بقفيز (لمن يطلب منه الغناء فيتردد ثم لا يريد الانقطاع عنه)

يقال لمن يستهتر ويلوم من دونه سنا على ذلك :

اذا كان رب الدار بالطبل ضاربا
فلا تلم الصبيان فى حالة الرقص

من الامثلة المغربية عن فوائد الموسيقى :

اذا ما اغنات ما تفقر وقبل تزيد فى العمر

المصادر والاشخاص المروى عنهم

التـــــراث العـــام

1 ـ كتاب الاغانى لابى الفرج الاصفهانى
2 ـ الموسيقى الكبير لابى نصر الفارابى تحقيق غطاس
3 ـ نفح الطيب للمقرى
4 ـ الموسيقى العربية البارون ديرلانجى
5 ـ تاريخ الموسيقى العربية ـ ج ـ هـ ـ فارمر
6 ـ الكافى فى الموسيقى ـ لابن زيله ـ تحقيق زكرياء يوسف
7 ـ رسالة يحى بن المنجم
8 ـ رسالة الكندى فى اجزاء خبرية فى الموسيقى تحقيق محمود احمد الحنفى
9 ـ رسالة الكندى فى خبر صناعة التاليف ـ تحقيق يوسف شوقى .
10 ـ كتاب الادوار ـ والرسالة الشرقية لصفى الدين الارموى
11 ـ العقد الفريد لابن عبد ربه

المغـــرب

كتاب المؤتمر الثانى للموسيقى العربية
لوحة الموسيقى المغربية الكسيس شوتان

والسادة : محمد القاسى والحاج ادريس بن جلون ومولاى العربى الوزانى والحاج محمد بنونة .

الجزائـــر

كشف القناع عن آلات السماع ـ لابى على الغوث

والسادة : الحاج العربى بن صارى وابنه رضوان ومحى الدين باش تارزى ـ وحسونة الخوجه .

تـــونس

الاغانى التونسية للصادق الرزقى

قانون الاصفياء فى علم نغمات الاذكياء ـ محمود سياله

ورقات ـ حسن حسنى عبد الوهاب

التقاليد والعادات الشعبية ـ نثمان الكعاك

التراث الموسيقى التونسى (8 اجزاء) وزارة الشؤون الثقافية

والسادة : خميس ترنان ومحمد الحبيب وعبد الرحمن المهدى ومحمد العقربى والمختار السلامى ومحمد المرزوقى ومحمد الدرويش رعلى بانواس ومحمد بـدرة .

ليبيـــا :

نظرات فى الموسيقى والمسرح ـ محمد العقربى

الموسيقى قواعد وتراث ـ محمد مرشان

والسادة : الحاج محمد الكريشى ومحمد حقيق وحسن الكمامى ومحمد بريانه والمختار شاكر المرابط ـ ومحسن ظافر .

مصـــر :

الموسيقى العربية واعلامها ـ محمود احمد الحفنى

سلسلة تراثنا الموسيقى (4 اجزاء) اللجنة العليا للموسيقى العربية

سفينة الملك ـ للشهاب

الموسيقى الشرقى ـ كامل الخلعى

تذوق الموسيقى العربية ـ محمود كامل

كتاب المؤتمر الاول للموسيقى العربية ـ وزارة التربية 1932 .

والسادة : محمود احمد لحفنى ـ واحمد شفيق ابو عوف ـ وعبده قطر وامين فهمى وسيد شطا .

ســـوريا

من كنوزنا ـ فؤاد رجائى ونديم الدرويش

الموسيقى السورية ـ عدنان بن ذريل

السماع عند العرب (4 اجزاء) ـ مجدى العقلى

السادة : على الدرويش ونجاة قصاب حسن وفؤاد رجائى .

لبنـــــان

الموشحات الاندلسية ـ سليم الحلو

الفنون الشعبية فى فلسطين ـ بسرى عونيطه

والسادة : سليم الحلو ـ عبد الغنى شعبان ـ توفيـق البـاشـا والاب يوسف الخورى .

العـــراق :

الطرب عند العرب ـ عبد الكريم العلاف

قيان بغـداد ـ عبد الكريم العلاف

المقام العراقى ـ الحاج هاشم الرجب

حل رموز الاغانى ـ الحاج هاشم الرجب

مؤلفات الكندى ـ زكرياء يوسف

المقامات ـ شعوبى ابراهيم

رائد الموسيقى العربية ـ عبد الحميد العلوجى

الفنانون البغداديون ـ الشيخ جلال الحنفى

والسادة : محمد القبانجى وحقى الشبلى والحاج هاشم الرجب وحمودى الوردى وعلى عبد الرزاق وسلمان شكر .

المملكة العربية السعودية

مشاهير الموسيقيين العرب ـ طارق عبد الحكيم

والسادة : ابراهيم السمان وطارق عبد الحكيم وعبد القادر الحلوانى .

ايـــران

السادة : مهدى البرقشلى وحسين ملك وحسين مشهدى .

تركيـــا

السادة : فريد روشن كام وعدنان سيقون ونجيل كاظم أكساس .

فهرست كتاب الموسيقى العربية

المقدمـــة 5
اصـــول المـوسيقـى 7
المـوسيقـى العـربيـة 9
شخصيات العصر الاسلامى الاول 11
ابو سعيد ابراهيم مولى فائد 13
البـــــردان 15
جميلـــــة 16
حنيـــن الحيـــرى 18
ســـائب خـــاثر 19
سعيـد بـن مسجـــح 20
طـــــويس 22
عـــزة الميـــلاء 23
ابـن محـــرز 24
شخصيات العصر الاموى 25
حبـــابـــة 27
ســـلامـــة 29
سيـــــاط 30
ابـن سـريـــج 31
الغـــريض 32

محمد بن عائشة 33
معبد 35
يونس الكاتب 36
شخصيات العصر العباسي 39
ابراهيم بن المهدى 41
ابراهيم الموصلي 43
احمد بن يحيى المكى 45
اسحاق الموصلي 46
ابن جامع 48
بذل 50
حكم الوادى 51
دحمان الاشقر 53
دنانير 55
ذات الخال 57
الزبير بن دحمان 59
عبد الله بن العباسى الربيعي 61
عريب 63
علوية 64
علية 65
فريدة 67
فليح بن ابى العوراء 69
متيم الهاشمية 70
محمد بن الحارث بسخنر 71
مخارق 72
منصور زلزل 75
يحيى المكى 77
شخصيات الاندلس والمغرب 79
ابن باجه 81
التيفاشي 84
ابو الصلت امية 86
زرياب 89
عباس بن فرناس 91

الحاجب عبد الوهاب .....
ابو الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلي وابنه محمد .....
مغنيات الاندلس .....
مؤنس المغنى .....
ولادة .....
من مشاهير علماء الموسيقى .....
الحركة الموسيقية المعاصرة .....
الموسيقى فى افريقيا .....
الموسيقى والغناء فى تونس .....
الموسيقى والغناء فى الجزائر .....
الموسيقى والغناء فى الجزيرة العربية .....
الموسيقى والغناء فى سوريا ولبنان .....
الموسيقى والغناء فى العراق .....
الموسيقى والغناء فى فلسطين والاردن .....
الموسيقى والغناء فى ليبيا .....
الموسيقى والغناء فى مصر .....
الموسيقى والغناء فى المغرب .....
ملحقات .....
اصول الايقاعات والمقامات العربية .....
الشعر والموسيقى .....
الطب والموسيقى .....
الموشح .....
الكلمات الاعجمية فى الموسيقى العربية .....
طرائف موسيقية من مختلف البلاد العربية .....
أمثال موسيقية .....
المصادر والاشخاص المروى عنهم .....

تـم طبع كتـاب
« المـوسيقى العـربيـة »
« تاريخها وأدبها »
بمطبعة الدار التونسية للنشر
صفر 1399 / جانفى 1979
ـ تـــونس ـ